قالَ الشَّيخُ الإمام العالم العامل ، الجامع بينَ عِلْمَيِ الشَّرِيعَةِ والحقيقة تاجُ الدِّينِ أبو العباس أحمدُ بنُ عطاءِ اللهِ السَّكندري رحمهُ اللهُ تعالى وأفاض علينا وعلى المسلمينَ مِنْ بركات علومه .. آمين :

***

[اطلبِ التَّوبةَ مِنَ اللهِ تعالى]

أيُّها العبد ، اطلبِ التَّوبةَ مِنَ اللهِ تعالى في كلِّ وقتٍ ، فَإِنَّ اللهَ تعالى قَدْ نَدَبَكَ إليها ، فقال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، وقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنِّي لأستغفرُ اللهَ سبعين مرَّةً »

***

[محاسبة النفس]

فإن أردت التوبة ، فينبغي لك ألا تخلو مِنَ التَّفَكَّرِ طُولَ عُمرِكَ ، فتفكر فيما صنعت في نهارِكَ ، فإن وجدت طاعة فاشكر الله تعالى عليها ، وإن وجدت معصية فوبخ نفسك على ذلك ..
واسْتغفر الله وتُبْ إليه ، فإنَّهُ لا مجلسَ معَ اللهِ أنفع لكَ مِنْ مجلس تُوَبِّخُ فِيهِ نفسَك.. ولا تُوَبَّخَها وأنتَ ضاحكٌ فَرِحٌ ، بَلْ وَبُخْهَا وَأَنتَ مُجِدٌّ صادقٌ ، مُظْهِرٌ للعُبُوسة ، حزينُ القلبِ ، مُنكسرٌ ذليل.. فإن فعلت ذلكَ ، بدَّلَكَ اللهُ بالحُزْنِ فرحاً ، وبالذل عِزّاً ، وبالظُّلمةِ نُوراً ، وبالحِجاب كشفاً .

***

[من صفات الأبدال]

وعن الشيخ مكين الدين الأسمر رحمه الله تعالى - وكان مِنَ السَّبْعَةِ الأبدال- قالَ : «كنتُ في ابتداء أمري أخيطُ وأتقوَّتُ مِنْ ذلكَ ، وكنتُ أعد كلامي بالنَّهار ، فإذا جاءَ المساءُ حاسبتُ نفسي ، فأجد كلامي قليلاً ، فما وجدتُ فيه من خيرٍ حمدتُ الله

وشكرته عليه ، وما وجدتُ فيه مِنْ غيرِ ذلكَ تُبْتُ إلى اللهِ واستغفرتُهُ ».. إلَى أَنْ صَارَ بدلاً رضيَ اللهُ عنه.

والأبدال : قوم صالحون لا تخلو الدنيا منهم ، إذا مات واحد منهم أبدل الله مكانه آخر .. أخرج الإمام أحمد عن شريح بن عبيد قال : ذُكر أهلُ الشام عند سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو بالعراق فقالوا : العنهم يا أمير المؤمنين . قال : لا .. إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الأبدال يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجلٌ أبدل الله مكانه رجلاً ، يُسقى بهم الغيث ، ويُنتصر بهم على الأعداء ، ويُصرف عن أهل الشام بهم العذاب.

***

[أثر الذُّنوب على القلوب]

واعلم : أنَّه إذا كانَ لكَ وكيل يحاسب نفسَهُ ويُحققها .. فأنتَ لا تحاسبه لمحاسبته نفسه .. وإنْ كانَ وكيلاً غير محاققٍ لنفسه فأنتَ تحاسبه وتحققه وتبالغ في محاسبته . فعلى هذا : ينبغي أن يكون عملك كلُّه لله تعالى ، ولا ترى أَنَّكَ تفعلُ فعلاً ، فإنَّ الله تعالى لا يحاسبك ولا يحققك ، وإذا وقع منَ العبدِ ذنب وقع معه ظلمة .. فمثال المعصية كالنار ، والظُّلمةُ دُخَانُها .. كمَنْ أوقدَ في بيت سبعين سنة ، ألا تراهُ يَسْوَدُ ؟. كذلك القلبُ يَسْوَدُ بالمعصية ، فلا يطهرُ إلا بالتوبة إلى الله تعالى ، فصارَ الذُّلُّ والظلمة والحجاب مقارناً للمعصية ، فإذا تبت إلى الله تعالى زالت آثارُ الذُّنوب.

***

[متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وأقسامها]

ولا يدخل عليكَ الإهمال إلا بإهمالِكَ عَنْ مُتابعةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلم ، ولا تحصل لكَ الرَّفعة عند الله تعالى إلا بمتابعةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلم ، والمتابعة له عليهِ الصَّلاة والسلام على قِسمين : جلية وخفية .. فالجلية : كالصَّلاةِ والصِّيام والزَّكاةِ والحج والجهاد وغير ذلك .. والخفية : أن تعتقد الجمعَ في

صلاتك ، والتَّدبر في قراءتِكَ ، فإذا فعلت الطَّاعةَ كالصَّلاة والقراءة ولم تجد فيها جمعاً ولا تدبراً ، فاعلم : أنَّ بكَ مرضاً باطناً مِنْ كِبْرٍ أو عُجْبٍ أو غير ذلك ، قال الله تعالى : سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِـيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ [الأعراف : ١٤٦] ، فيكون مثالك كالمحموم الذي يجد في فمِهِ السُّكَّرَ مُراً .. فالمعصيـة مـعَ الذّلّ والافتقار خيرٌ مِنَ الطَّـاعـة مـع العـز والاستكبار .. قال الله تعالى حكايةً عَنْ إبراهيم عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِني [إبراهيم : ٣٦] .. فمفهوم هذا : أَنَّ مَنْ لم يتبعه ليسَ منه .. وقال تعالى حكاية عَنْ نوح عليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي [هود : ٤٥] ، فأجابَه سبحانَهُ : قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالح [هود : ٤٦] ، فالمتابعةُ تجعل التابع كأَنَّهُ جزء مِنَ المتبوع وإنْ كانَ أجنبياً كسلمان الفارسي رضي الله عنه ، لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : سلمانُ مِنَّا أهل البيت ، ومعلوم أنَّ سلمانَ منْ أهل فارس ، ولكن بالمتابعة صار من أهل البيت ، فكما أنَّ المتابعة تُثبتُ الاتصال ، كذلِكَ عدمُها يثبتُ الانفصال.

***

[مفتاح الخير كله في اتباعه]

وقد جمع الله الخيرَ كلَّه في بيتٍ ، وجعل مفتاحه متابعة النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم .. فتابعه بالقناعة بما رزقَكَ اللهُ تعالى والزُّهْدِ والتقلُّلِ مِنَ الدُّنيا وترك ما لا يعني من قول وفعل .. فمَنْ فُتِحَ له بابُ المتابعة فذلك دليل على محبَّةِ اللهِ تعالى له .. قال تعالى : قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمُ [آل عمران : ٣١] .. فإذا طلبت الخيرَ كلَّه فقُلِ : اللهم إِنِّي أسألُكَ المتابعة لرسولِكَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم في الأقوالِ والأفعالِ .. ومَنْ أرادَ ذلك فعليه بعدمِ الظُّلمِ لعبادِ اللهِ في أعراضهم وأنسابهم وأموالهم ، فلو سَلِمُوا مِنْ ظُلم بعضهم بعضاً لانطلقوا إلى الله تعالى ، ولكنَّهم معوقُونَ كالمِدْيان بسبب مَنْ يطلبه ، واعلم : أنَّكَ لو كنتَ مُخصَّصاً عند الملِكِ مُقرَّباً منه وجاءَ مَنْ يَطلبُكَ بدَيْنٍ ؛ ضيَّقَ عليكَ ولو كانَ نَزْراً يسيراً .. فكيفَ بكَ إذا جئتَ يومَ القيامةِ ومئة ألف إنسان أو

أكثر يطلبونَكَ بديون مختلفة ، مِنْ أخذ مال وقذف عِرْضِ وغير ذلك .. فكيف يكون حالك ؟!

***

[المصابُ مَن محقتْهُ الذُّنوب]

المصاب حقاً مَنْ محقَّتْهُ الذُّنوبُ والشَّهواتُ حتَّى جعلته كالشَّن البالي ، هذا هو المنكوبُ المُعزَّى ، ذهبَتْ مَآكلُهُ وشهواته ملأ بها المرحاض ، وأرضى بها زوجتَهُ ، ويا ليتها كانت مِنْ حلال !!.. فأَوَّلُ المقاماتِ : التوبةُ ، ولا يُقبلُ ما بعدها إلا بها .

***

[المعصية تُسَوَّد القلب والتوبة تغسله]

مثال العبد إذا فعل المعصية كالقِدْر الجديد ، يُوقد تحتَهَا النَّارُ ساعةً فتَسْوَدُّ ، فإِنْ بادرْتَ إِلى غَسْلِها انغسلَتْ منْ ذلكَ السَّواد .. وإن تركتها وطبخت فيها مرَّةً بعدَ مرَّةٍ ثبَتَ السَّوادُ فيها حتَّى تَنْكَسِرَ ، ولا يُفيدُ غسلها شيئاً .. فالتوبة : هي التي تَغْسلُ سوادَ القلبِ ، فَتَبْرُزُ الأعمال وعليها رائحةُ القبولِ ، فاطلبْ مِنَ اللهِ تعالى التوبةَ دائماً ، فإِنْ ظَفِرْتَ بها فقد طابَ وقتك ، لأَنَّها موهبةٌ مِنَ اللهِ تعالى يَضعُها حيثُ شَاءَ مِنْ عِبادِهِ ، وقد يَظْفرُ بها العبدُ المُشقَّقُ الأكعاب دُونَ سيّدِهِ ، وقد تظفر بها المرأة دُونَ زوجها ، والشَّابُ دُونَ الشَّيخ .. فإِنْ ظَفِرْتَ بها فَقَدْ أَحبَّكَ اللهُ ، لقوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة : ٢٢٢] ، إنَّما يغتبط بالشَّيء مَنْ يَعرِفُ قَدْرَهُ ، ولو بَذَرْتَ الياقوت بينَ الدَّوَابِّ لكانَ الشَّعيرُ أحبَّ إليهم .. فانظُرْ مِنْ أي الفريقين أنت ؟!.. إن تُبْتَ فأنتَ مِنَ المحبوبين .. وإن لم تتُبْ فَأَنتَ مِنَ الظَّالمين .. قال الله تعالى : وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [الحجرات : ١١] .. مَنْ تَابَ ظفِرَ ، ومَنْ لم يَتُبْ خَسِرَ .. ولا تقطَعْ يَأسَكَ وتقول : كم [أتوبُ] وأنقُضُ ، فالمريضُ يرجُو الحياةَ ما دامَتْ فيهِ الرُّوح .. إذا تاب العبد فرحَتْ بهِ دارُهُ مِنَ الجنَّة ، وتفرحُ بهِ السَّماءُ والأَرضُ والرسول صلَّى اللهُ عليهِ

وسلَّم ، فالحق سبحانَهُ لم يَرْضَ أن تكونَ مُحِبّاً بَلْ محبوباً ، وأين المحبوبُ مِنَ المحب ؟!

***

[من عرفه لم يَعصِه]

وأنى لعبد يعلمُ إحسان المحسنِ فيجترِئُ على معصيته ، ولكن ما عرف إحسانَهُ مَنْ آثرَ عِصْيانَهُ ، وما عَرَفَ قَدْرَهُ مَنْ لم يُراقِبُهُ ، وما رَبِحَ مَنِ اشتغلَ بغيرِهِ ، فعلِمَ أَنَّ النَّفْسَ تدعوه إلى الهَلَكَةِ فَاتَّبَعَها ، وعلِمَ أنَّ القلبَ يَدعوه إلى الرُّشدِ فعصاه ، وعلمَ قَدْرَ المُعصَى فواجهه بالمعصية ، ولو علم اتِّصافَهُ بعظمته لما قابلَهُ بوجودِ معصيتِهِ ، وعَلِمَ قُرْبَ مولاهُ وأَنَّهُ يراه فسارع لما عنه نهاه ، وعلمَ أثرَ الذَّنْبِ المرتب عليه دنيا وأُخرى وغيباً وشهادة فما استحيا مِنْ ربَّه ، ولو علم أنَّه في قبضته لما قابله بمخالفته ..

***

[آثار المعصية الظاهرة والباطنة]

واعلم : أنَّ المعصية تتضمَّنُ نقض العهد ، وتحليل عقدِ الوُدَّ ، والإيثار على المولى ، والطّاعة للهوى ، وخلع جلباب الحياء ، والمبادرة لله بما لا يرضى ، مع ما في ذلك من الآثار الظاهرة : من ظهورِ الكُدورة في الأعضاء ، والجمودِ في العين ، والكسل في الخدمة ، وترك الحفظ للحرمة ، وظهور كسف الشهوات ، وذهاب بهجةِ الطّاعات .. وأما الآثار الباطنةُ : فكالقساوة في القلب ، ومعاندة النَّفْس ، وضيق الصدر بالشهوات ، وفقدان حلاوة الطّاعات ، وترادف الأغيار المانعة من بروقِ شوارق الأنوار ، واستيلاء دولة الهوى ، إلى غير ذلك من ترادف الارتياب ، ونِسْيانِ المآب ، وطولِ الحِساب ..

***

[الفرق بين الطاعة والمعصية]

ولو لم يكُنْ في المعصية إلا تبدل الاسم لكان كافياً ، فإنَّكَ إذا كنتَ طائعاً تُسمى بالمحسِنِ المقبل ، وإذا كنتَ عاصياً انتقل اسْمُكَ إلى المسيء المعرض ، هذا في انتقالِ الاسمِ فكيف بانتقال الأثرِ : مِنْ تبدلِ حلاوةِ الطَّاعَةِ بحلاوة المعصية ، ولذاذة الخِدْمَةِ بلذاذةِ الشَّهوة .. هذا في تبدل الأثرِ فكيفَ بتبدُّلِ الوصفِ ؟! بعدَ أنْ كنتَ موصوفاً عندَ اللهِ بمحاسن الصفاتِ فيُعْكَسُ الأمرُ فتَتَّصِفُ بمساوىء الحالات !! هذا في تبدل الوصفِ فكيفَ في تبدُّلِ المرتبة ؟! فبعد أنْ كنتَ عندَ اللهِ مِنَ الصَّالحينَ صِرْتَ عندَهُ مِنَ المفسدين ، وبعدَ أَنْ كنتَ عندَ اللَّهِ مِنَ المتقين صِرْتَ عندَهُ مِنَ الخائنين ؟!

***

[ما المطلوب عند كثرة الذنوب ؟]

فإن كانتِ الذُّنوبُ مُنفتحةً في وجهك فَاسْتَغث بِاللهِ وَالْجَأْ إِليه ، واحثُ الترابَ على رأسك وقُلِ : اللهم انقُلْني مِنْ ذُلِّ المعصية إلى عِزِّ الطَّاعة ، وزُرْ ضرائح الأولياء والصالحين وقُلْ : يا أرحم الراحمين .. أتريد أنْ تُجاهد نفسَكَ وأنتَ تُقوّيها بالشَّهواتِ حَتَّى تَغلِبَكَ ؟! ألا فقدْ جهلت ، فالقلب شجرةٌ تُسقى بماءِ الطَّاعة ، وثمراتها مواجيدها ، فالعين ثمرتُها الاعتبار ، والأُذُن ثمرتها الاستماع للقرآن ، واللسان ثمرته الذِّكْرُ ، واليَدَانِ والرَّجُلانِ ثمرتُهما السعى في الخيرات .. فإذا جف القلب سقطت ثمراته ، فإن أجدَبَ فأكْثِرُ مِنَ الأذكار .. ولا تكُن كالعليل يقولُ : لا أتداوى حتَّى أَجدَ الشَّفاء ، فيُقالُ لَهُ : لا تجدُ الشَّفاء حتى تتداوى !! فالجهاد ليس معه حلاوةٌ ، وما معه إلا رؤوس الأسِنَّة ، فجَاهِدْ نفسك ، فهذا هو الجهاد الأكبر ..

***

[متى عيد هؤلاء ؟]

واعلم : أنَّ الثكلى لا عيدَ لها ، بل العيدُ لَمَنْ قهر نفسَه ، لا عيد إلا لمن جمع شمله .. جاز بعضُهُمْ على دير راهب فقال له : يا

راهبُ متى عيد هؤلاء القوم ؟.. قال : يومَ يُغفَرُ لهم .. ما مثالُكَ مَعَ نفسِكَ إلا كَمَنْ وجد زوجتَهُ في حانَةِ خمَّارٍ فأتاها بالملابس الحسنةِ والمآكلِ الطَّيبة ، وإذا تركَتِ الصَّلاةَ أصبحَ يُلَقِّمُها الهرائس والألوان !!.. بقي بعضُهُمْ أربعين سنة لا يحضُرُ الجماعة لما يَشُمُّ من نَتَنِ قلوبِ الغافلين .. فما أعرفك بمصالح الدُّنيا ، وما أجهلك بمصالح آخرتك !!.. مثالُ الدُّنيا عندَكَ : كَمَنْ خرج إلى الضيعة واجتهدَ ، فَخَزَنَ الأقوات ، فأنت قد أتيتَ بما يعودُ نفعُهُ عليك في وقتِه ، وإن خزنْتَ حيَّاتِ الشَّهواتِ وعقارب المعصية ؛ هلكْتَ .. كفى بك جهلاً : أنَّ النَّاسَ يخزنونَ الأقوات لوقتِ حاجتِهِمْ إليها وأنتَ تخزن ما يَضرُّكَ ؛ وهي المعاصي !! هل رأيتَ مَنْ يأتي بحيَّاتِ فيُربيها في داره ؟! فها أنت تفعل ذلك ..

***

[الصَّغائر بريد الكبائر]

وأضر ما يُخافُ عليكَ : مُحقَّراتُ الذُّنوب ، لأنَّ الكبائر ربَّما استعْظَمْتَها فتُبْتَ منها ، واستحقرْتَ الصَّغائر فلم تتب منها ، فمثالُكَ : كمَنْ وجد أسداً فخلَّصَهُ الله منه ، فوجد بعده خمسين ذئباً فغلبوه ، قال الله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيْنا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٥] ، والكبيرة حقيرة في كرم الله ، وإذا أصرَرْتَ على الصغيرة صارَتْ كبيرة ، لأنَّ السُّمَّ يقتلُ مَعَ صِغَرِه ، والصغيرة كالشَّرارةِ مِنَ النار ، والشرارة قد تحرق بلدة .. مَنْ أنفق عافيته وصحتَهُ في معصية الله فمثَالُهُ : كَمَنْ خَلَّفَ لَهُ أبوه ألف دينار فاشترى بها حيَّاتٍ وعقارب وجعلها حوله ، تلدغه هذهِ مرَّةً ، وتلسعه هذه أخرى ، أفما تقتله ؟!.. وأنت تمحقُ السَّاعاتِ في مخالفتِه ، فما مثالُكَ إلا كالحِدَأَةِ تطوفُ على الجيفة حيثما وجدَتْهَا انحطَّتْ عليها ، بل كُن كالنحلة : صغيرٌ جُرْمُها ، عظيمةٌ هِمَّتُها ، تجني طيباً ، وتضع طيبا ..

***

[مَنْ أماتته الغفلة لم تردُّه النكبات]

طالما تمرَّغْتَ في مواطن المحن فتمرغ في محابُ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فهذه الحقيقة تُبيَّن طريقك ، ولكنْ مَنْ أماتته الغفلة لم تردُّه النكبات ، لأنَّ المرأة الناقصة العقل يموتُ ولدها وهي
تضحك !!.. فكذلك أنتَ تُنْكَبُ عن قيام الليل وصيام النهار وفي جميع جوارحك ولا تتألم ، وما ذلكَ إلا لأنَّ الغفلة قد أماتتْ قلبك ، لأنَّ الحي يُؤلمه نقرُ الإبرة ، ولو قُطِّعَ الميتُ بالسُّيوف لم يتألم ، فأنت حي ميت القلب .. مجلس الحكمة : نَفَحةٌ مِنْ نفحاتِ الجنَّةَ ، تجدها في طريقك وفي دارك ، وفي بيتك ، فلا يَفتكَ المجلس ولو كنت على معصية ، ولا تقل : ما الفائدة في حضور المجلس وأنا أعصي ولا أقدر على تركِ المعصية ؟!.. بل على الرَّامي أن يرمي ، فإن لم يأخذ اليوم يأخذ غداً ..

***

[المعصية سبب لتوقف الرزق]

يا هذا إياك والمعصية ، فقد تكون سبباً لتوقُفِ الرِّزْق ، فاطلُبْ مِنَ اللَّهِ التوبة ، فإن قُبلت وإلا فاستغث باللهِ وقُلْ : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾
[الأعراف : ٢٣] .. ولا تَكُنْ كَمَنْ أتى عليهِ أربعون سنةٌ ولم يَقْرعْ بابَ اللهِ قط !!.. ولكن أكثرُ ما يُخافُ عليكَ سوء الخاتمة - والعياذ بالله تعالى - بسبب إطفاء جمرة الإيمان بسوادِ العِصيان ، وهيَ الذُّنوبُ على الذُّنوبِ حَتَّى يَسْوَدَّ القلبُ من غير توبة ..

***

[احذر نفسك التي بين جنبيك]

إياك أن تتهاون في أعمالِكَ وتختار الطَّيباتِ لمِرْحاضِك ، واحذر نفسك التي بين جنبيكَ ، فهي التي تحطب عليك ، ثم لا تفارقُ صاحبها إلى الممات ، والشَّيطانُ يُفارقُ في رمضان لأنَّهُ تُغَلُّ فِيهِ الشَّياطين ، ورُبَّما تَجِدُ مَنْ يَقتلُ فيه ويَسْرِقُ !!.. فهذا مِنَ النَّفْس ، فإذا مالت إلى معصية فذكرها بعذابِ اللهِ ، والقطيعة عَنِ اللهِ بسببها .. والعسل المسمومُ يُتْرَكُ معَ العلم بحلاوته لما فيه من وجود الأذى ، لقولهِ صلَّى الله عليه وسلَّم : « الدُّنيا حلوةٌ خَضِرة

» ، ويُروى أيضاً : « جيفةٌ قَذِرةٌ » ، حلوة خضرة عند أهل الغفلة ، وجيفةٌ قذرة عند أهل اليقظة ، حلوة خضرة عند النفوس ، وجيفةٌ قذرة عند مرأى القلوب ، حلوة خضرة للتحذير ، وجيفةٌ قذرةٌ للتنفير ، فلا تخدعنكُم بحلاوتها فإنَّ عاقبتها مُرَّة .

***

[من المؤمنُ ، ومَن المخذول ؟]

إذا قيل لكَ : مَنِ المُؤمِنُ ؟ فقُلِ : الَّذِي اطَّلع على عيب نفسِهِ ولم يَنْسُبْ أحداً من العبادِ إلى عَيبٍ ، وإذا قيلَ لكَ : مَنِ المخذولُ ؟ فقُلِ : الَّذِي يَنْسُبُ العباد إلى العيبِ ويُبرِّى نفسَهُ منه .. ومما تمادى عليهِ أهلُ هذا الزمانِ : مباسطتُهُمْ ومؤانستُهم للعاصين ، ولو أنهم عبسوا في وجوهِهِمْ لكانَ ذلك زاجراً لهمْ عَنِ المعصية .. لو فُتِحَ لكَ بابُ الكمال لما رجعت إلى الرَّذائل ، أرأيتَ مَنْ فُتِحَ لَهُ باب القصر ؛ هل يرجع إلى المزابل ؟! ولو فُتِحَ لكَ بَابُ الأُنْسِ بينَكَ وبينه ؛ ما طلبتَ مَنْ تأنس بهِ .. لو اختارَكَ لرُبوبيَّتِهِ ؛ ما قطعَكَ عنه .. لو كَرُمْتَ عليه ؛ ما رماك لغيره ..

***

[العز مع الطَّاعة والذل مع المعصية]

إذا عزل عنكَ محبَّةَ مخلوق ؛ فافَرَحْ .. فهذا مِنْ عنايته بك ، ولا تكون معصية إلا والذُّلُّ معها ، أفتعصيهِ ويُعزِّكَ ؟! كلا ؛ فقد ربط العِزَّ معَ الطَّاعة ، والذلَّ معَ المعصية ، فصارت طاعته نوراً وعزاً وكشف حجاب ، وضدها معصية وظلمةٌ وذل وحجاب بينك وبينه ، ولكن ما منعَكَ مِنَ الشُّهودِ إلا عدم وقوفك مع الحدود ، واشتغالك بهذا الوجود

***

[معاملة الولد والمؤمن إذا عصيا]

إذا عصى ولدُكَ فأدبّهُ بالشَّرع ولا تقطعه ، بلْ قابلهُ بالعُبوسة لِيَكُفَّ عَنِ المعصية .. وأكثرُ ما يَدْخُلُ على المؤمن الدَّخَلُ إذا كانَ عاصياً (ويقصد بالدَّخَلُ أي الفساد والعيب والداء والريبة والمكر

والخديعة) ، فإمَّا أَنْ يفضحوه ، وإما أن يستهزئوا به ، فإذا فعلوا ذلك فقد أخطؤوا الطريق .. إذا عصى المؤمنُ فقد وقع في ورطة عظيمة ، وطريقه : أن تفعلَ معَهُ كما فعلتَ معَ ولدِكَ عندَ عِصْيانه ، تُعْرِضُ عنه في الظاهر ، وتكون له راحماً في الباطن ، وتطلب له الدُّعاءَ بالغيب .. كفى بك جهلاً أن تحسد أهلَ الدُّنيا على ما أُعطوا ، وتُشْغِلَ قلبَكَ بما عندهم ، فتكون أجهل منهم ؛ لأنَّهمُ اشتغلوا بما أُعطوا ، واشتغلت بما لم تُعْطَ .. ترمد عينك فتعالجها ، وما سبب ذلك إلا أَنَّكَ ذُقْتَ بها لذَّةَ الدُّنيا ؛ فتعالجها حتَّى لا يفوتكَ النظرُ إلى مُستحسناتها ، وترمدُ بصيرتكَ أربعين سنة فلا تعالجها !!

***

[حفظ بقية العمر]

واعلم : أنَّ عُمُراً ضُيْعَ أَوَّلُهُ حرِيٌّ أنْ يُحفَظَ آخرُه ؛ كامرأةٍ كان لها عشرة أولاد ، مات منهم تسعةٌ وبقي واحدٌ ، أليستْ تَرُدُّ وَجْدَها على ذلكَ الواحد ؟! وأنتَ قد ضيعت أكثر عمرِكَ فاحفظ بقيته ؛ وهي صبابة يسيرة .. واللهِ ؛ مَا عُمُرُكَ مِنْ أَوَّلِ يومٍ وُلِدْتَ ، بل عمرُكَ من أول يومٍ عرفت الله تعالى .. شتّانَ بينَ أهلِ السَّعادةِ وأهلِ الشَّقاوة : فأهل السعادة إذا رأوا إنساناً على معصية ؛ أنكروا عليه في الظاهر ودعوا له في الباطن ، وأهل الشقاوة يُنكرونَ عليهِ تشفّياً فيه ، ورُبَّما ثلموا عليهِ عِرْضَهُ ، فالمؤمن ناصح لأخيه في الخلوة ، ساتر له في الجلوة ، وأهل الشقاوة بالعكس إذا رأوا إنساناً على معصية ؛ أغلقوا عليه الباب وفضحوه فيها ؛ فهؤلاء لا تُنَوَّرُ بصائرهم ، وهم عندَ اللهِ مبعدون .

***

[كيف تختبر عقل الرجل ؟]

وإذا أردت أن تختبر عقلَ الرَّجل ؛ فانظُرْ إِليهِ إذا ذكرْتَ لَهُ شخصاً ؛ فإن وجدتَهُ يَطوفُ على محمل سُوءٍ حتّى يقول لك : خلنا منه ذاكَ فعل كذا وكذا ؛ فاعلم : أنَّ باطنه خراب ، وليس فيه معرفةٌ ، وإذا رأيتَهُ يَذْكرُهُ بخير ، أو يذكرُ لهُ ما يُوصَفُ بالذَّمِّ

ويَحمِلُهُ على محملٍ حَسَنٍ ، ويقولُ : لعلَّهُ سها ، أو لهُ عُذر ، أو ما أشبه ذلك ؛ فاعلم : أنَّ باطنه معمور ؛ فإنَّ المؤمنَ يعمل على سلامة عرض أخيه المسلم ..

***

[الاشتغال بالأذكار يبارك في الأعمار]

مَنْ قارب فراغ عمرِهِ ويُريدُ أن يستدرِكَ ما فاته .. فلْيُكثر من الأذكار الجامعة ؛ فإنَّه إذا فعلَ ذلكَ صارَ العمرُ القصير طويلاً ؛ كقوله : سبحان الله العظيم وبحمده : عدد خلقِهِ ، ورضا نفسِهِ ، وزنة عرشِهِ . ومداد كلماته .. وكذلكَ مَنْ فاته كثرة الصيام والقيام ؛ أَنْ يَشغل نفسَهُ بالصَّلاةِ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ؛ فإنَّك لو فعلت في عُمُرِكَ كلَّ طاعة ثمَّ صلَّى الله عليك صلاة واحدة ؛ رجحَتْ تلكَ الصَّلاةُ الواحدة على كلِّ ما عملت في عمرِكَ كله من جميعِ الطَّاعات ؛ لأَنَّكَ تُصلي على قَدْرِ وُسْعِكَ ، وهوَ يُصلي على حسب ربوبيَّتِهِ ، هذا إذا كانت صلاةً واحدةً ؛ فكيف إذا صلى عليك عشراً بكل صلاة ؛ كما جاء في الحديث الصحيح ؟! فما أحسن العيش إذا أطعْتَ الله تعالى فيهِ بذكرِ الله تعالى ، أو بالصلاة على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم !! .. يُروَى أَنَّهُ : « ما مِنْ صيد يُصاد ، ولا شجرةٍ تُقطَعُ إلا بغفلتها عن ذكر الله تعالى ؛ لأنَّ السَّارِقَ لا يسرقُ بيتاً وأهله أيقاظ ، بل على غفلة أو نوم .

***

[أخذ الزاد والاستعداد ليوم المعاد]

مَنْ علِمَ قُرْبَ رحيلِهِ ؛ أسرع في تحصيلِ الزَّاد ، ومَنْ علمَ أَنَّ إِحسان غيره لا ينفعه ؛ جد في الإحسان ، ومَنْ أخرج ولم يحسب ؛ خسر ولم يَدْرِ ، ومَنْ وكَّل وكيلاً واطَّلع على خيانته ؛ عزله ، كذلك نفسك قدِ اطلعت على خيانتها ؛ فاعْزِلْها وضيق عليها المسالك.

***

[هذا وصفك وهذا من صنائع الله]

إذا رأيت فيك الإعراض والشَّهوة والغفلة فهذا وصفك ، وإذا رأيت فيك الإنابة والخشية والزُّهدَ فهذا مِنْ صنائع الله تعالى ، مثال ذلك : إذا رأيت ببلدِكِ الحَلْفَاءَ والشَّوك والعوسج فهذا نباتُ أرض بلدك ، وإذا رأيت بها العُودَ الرَّطب والمسك والعنبر فتعلم أنَّه مجلوبٌ مِنْ صنائع الله تعالى ؛ ليسَ من نبات أرضِكَ ؛ فالمسك مِنْ غِزلان عراقِها ، والعنبر : من بحر هندِها .. مثالُ الإيمان معك إذا عصيت الله تعالى كالشَّمس المكسوفة ، أو كالسراج إذا غطَّيتَهُ بصحفةٍ ، هو موجود ولكنْ يَمنعُ نورَهُ الغِطَاءُ ، ثمَّ إنَّكَ تحضرُ المجلس في الجامع ليتوفّر عقلُك ، وإنْ كَانَ عمرُكَ قليلاً يصير كثيراً ؛ لحصول الإيمان والخشوع والخضوع والخشية والتدبر والتذكُر ونحوها . فلو عرفت الإيمان ما قاربتَ العِصيان ؛ فلا غريم أمطلُ مِنَ النَّفْسِ ، ولا عدو أعظمُ مِنَ الشَّيطان ، ولا مُعارض أقوى مِنَ الهوى..

***

[آفة الكبر وأثرها]

ولا يدفع المدد الهابط مثلُ الكِبْر ؛ لأنَّ الغيثَ لا يَقَرُّ إلا على الأرضِ المنخفضة ، لا فوق رؤوس الجبال ؛ فكذلِكَ قلوبُ المتكبرين تنتقل عنها الرحمة ، وتنزل إلى قلوب المتواضعين ، والمراد بالمتكبرين : مَنْ يَرُدُّ الحقِّ ، لا مَنْ يَكونُ ثوبُهُ حَسَناً ، ولكنَّ الكِبْرَ بطرُ الحقِّ - يعني دَفْعَه - واحتقار الناس .. ولا تعتقد : أنَّ الكِبْرَ لا يكون إلا في وزير أو أمير أو صاحب دنيا ؛ بل قد يكون فيمَن لا يملِكُ عَشَاءَ ليلةٍ ، وهوَ يُفسد ولا يُصْلح ؛ لأنَّه تكبَّرَ على خلق الله تعالى ، ولا تعتقد أنَّ المنكوبَ مَنْ كانَ في الأسْرِ أو السجن ، بل المنكوبُ : مَنْ عصى الله تعالى وأدخلَ في هذه المملكة الطَّاهرة نجاسة المعصية .. كثيرٌ مَنْ أنفقَ الدَّنانير والدراهم ؛ ولكنْ مَنْ أنفقَ الدَّمعَ قليلٌ .. الأحمقُ : مَنْ ماتَ ولدُهُ وجعلَ يبكي عليه ؛ ولا يبكي على ما فاته مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فكأنَّهُ يقولُ بلسان حالِهِ : أنا أبكي على ما كانَ يَشْغُلُني عن ربي ، بل كان ينبغي له الفرحُ بذلك ، ويُقبلُ على مولاه ؛ لأنَّه أخذ منه ما كانَ يَشْغَلُهُ عنه .

***

[ابكِ على نفسك]

وقبيح بك أنْ تشيب وأنتَ طفلُ العقل صغيره ؛ ولا تفهم مراد الله تعالى منكَ ؛ فإنْ كنتَ عاقلاً فابْكِ على نفسِكَ قبلَ أنْ يُبكى عليك ؛ فإنَّ الزوجة والولد والصَّديق والخادم لا يبكون عليك إذا مت ، بل يبكون على ما فاتهم منك ، فسابِقْهُمْ أنتَ بالبكاء ، وقُلْ : يَحِقُ لي أن أبكي على فواتِ حظي مِنْ رَبِّي قبل أن يبكوا عليَّ .. كفى بك جهلاً : أنْ يُعاملَكَ مولاك بالوفاءِ ؛ وأنتَ تعامله بالجفاء !.. ليسَ الرَّجلُ مَنْ صاحَ بينَ الناسِ في المجلس ، إِنَّمَا الرَّجلُ مَنْ صَاحَ على نفسه ، وردَّها إلى اللهِ تعالى .

***

[الاشتغال بالأهم]

مَنْ عالَ هم الدُّنيا وترك هم الآخرة كانَ كَمَنْ جَاءَهُ أَسَدٌ يفترسُهُ ثُمَّ قرصهُ بُرْغوث ، فاشتغلَ بهِ عنِ الأسد ؛ فإِنَّ مَنْ غَفَلَ عَنِ اللهِ تعالى اشتغل بالحقير ، ومَنْ لم يغفل عنه لم يشتغِلْ إلا بهِ ، فأحسن أحوالِكَ : أن تفوتكَ الدُّنيا لتحصيل الآخرة ، فلطالما فاتتك الآخرة لتحصيل الدُّنيا !.. ما أقبحَ الخوف بالجندي ، وما أقبحَ اللَّحْنَ بالنَّحوي ، وما أقبحَ طلبَ الدنيا لمنْ يُظْهرُ الزُّهدَ فيها !! ليسَ الرَّجلُ مَن يُرَبِّيكَ لفظه ؛ إنَّما الرجلُ مَنْ يُرَبِّيكَ لحظه .. عن الشيخ أبي العباس المرسي رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّهُ قالَ : (إذا كانَتِ السلحفاة تُربِّي فراخها بالنَّظرِ ؛ كذلكَ الشَّيخ يُرَبِّي مُريدَهُ بالنظر) ؛ لأنَّ السلحفاة تبيضُ في البَرِّ ، وتتوجَّهُ إلى جانب النهر ، وتنظر إلى بيضها ، فيُرَبِّيهم الله تعالى لها بنظرها إليهم .

***

[الحب الحقيقي]

إِيَّاكَ أنْ تخرُجَ مِنْ هذهِ الدَّارِ وما ذُقْتَ حلاوة حُبّه ، ليس حلاوة حبه في المآكل والمشارب ؛ لأنَّهُ يُشارِكُكَ فيها الكافرُ والدَّابة ، بل شارك الملائكة في حلاوةِ الذِّكْرِ ، والجمع على الله تعالى ؛

لأنَّ الأرواح لا تحتمل وساوِسَ النُّفوس ، فإذا انْغَمَسَتْ في جيفةِ الدُّنيا ؛ لا تصلح للمحاضرة ؛ لأنَّ حضرة الله تعالى لا يدخُلُها المتلطِّخون بنجاسة المعصية . وطهِّرْ نَفْسَكَ مِنَ العيبِ يفتح لك باب الغيب ، وتُبْ إلى اللهِ وَارْجِعْ إليه بالإنابة والذكر ، ومَنْ أدامَ قَرْعَ الباب يُفْتَحْ له ، ولولا الملاطفة ما قُلنا ذلك ؛ لأنَّهُ كما قالت رابعة العدوية : (ومتى أُغلق هذا البابُ حتَّى يُفتح ؟!) ، ولكن هذا بابٌ يُوصِلُكَ إلى قُرْبِهِ . وإِيَّاكَ وذهول القلبِ عَنْ وحدانيَّةِ اللهِ تعالى ؛ فأول درجاتِ الذاكرين : استحضار وحدانيته ، وما ذكرَهُ الذَّاكرونَ وفُتِحَ عليهِمْ إلا باستحضارِهِمْ ذلك ، وما طُرِدُوا إلا بذكرهم مَعَ غلبةِ الذهول عليهم ، وتستعينُ على ذلك بقمعِ الشَّهْوتينِ : البطنِ والفَرْجِ ، ولا يُضادُّكَ في الله إلا نفسك.

***

[اجعل تودُّدك للحق]

ما أكثر تودُّدَكَ للخَلْق ، وما أقل تودُّدَكَ للحق !! لو فُتِحَ لَكَ بَابُ التَّودُّدِ معَ اللهِ تعالى ؛ لرأيت العجائب: ركعتان في جوف الليل تودُّد ، عيادتكَ المرضى تودُّد ، صلاتك على جنازة تودُّد ، الصَّدقة على المساكين تودُّد ، إعانتك لأخيك المسلم تودُّد ، إماطتك الأذى عن الطريقِ تودُّد .. ولكن السيف المطروح يحتاج إلى ساعد .. ولا عبادة أنفع لكَ مِنَ الذِّكْر ؛ لأنَّهُ يُمكنُ الشَّيخَ الكبير والمريض الذي لا يستطيع القيام والركوع والسجود ..

***

[العلماء والحكماء هم الأدلاء]

واعلم : أنَّ العلماء والحكماءَ يُعَرِّفونَكَ كيف تدخُلُ على الله ؛ هلْ رأيت مملوكاً أوَّلَ ما يُشْتَرَى يَصْلُحُ للخدمة ؟ بل يُعطَى لِمَنْ يُرَبِّيهِ ويُعلِّمُهُ الأدب ، فإذا صلح وعرفَ الأدب ؛ خدم الملك .. كذلك الأولياء رضي الله عنهم يصحبهُمُ المريدونَ حتّى يزجوا بهم إلى الحضرة ؛ كالعوَّامِ إذا أرادَ أَنْ يُعَلِّمَ الصَّبيَّ العَومَ ؛ يُحاذيه إلى أن يصلح للعَومِ وحدَهُ ، فإذا صلح زجّه في اللُّجَّةِ وتركه .. وإِيَّاكَ أن تعتقد : أنَّهُ لا يُتوسَّلُ بالأنبياء والأولياء والصالحين ؛ فإنهم

وسيلة جعلها الله إليه ، لأنَّ كلَّ كرامة للولي ؛ هي شهادة بصدقٍ النبي ، لأنَّها جرَتْ على أيدي الأولياء مثل : خَرْقِ العادات ، والمشي على الماء ، والطيران في الهواء ، وإخبار المغيَّبات ، ونبع الماء ونحو ذلك ؛ لأنَّهم لم يُعْطُوا ذلك إلا لأجلِهِمْ .

***

[ميزان تعرف به نفسَك]

عنِ الشَّيخ أبي الحسنِ الشَّاذلي رضيَ اللَّهُ عنهُ أَنَّهُ قَالَ : (كِلْ نَفْسَكَ وَزِنْـها بالصَّلاة ؛ فإن انتهت عن الحظوظ فاعلم أَنَّكَ سعدت ؛ قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلوةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ وإلا ؛ فابكِ على نفسِكَ إذا جررْتَ رِجْلَكَ إِلى الصَّلاةِ جَرّاً ؛ فهل رأيت حبيباً لا يريد لقاء حبيبه ؟! فمَنْ أراد أن يعرف حقيقته عندَ اللهِ فلينظُرْ إلى صلاته ؛ إمَّا بالسكون والخشوع ، وإما بالغفلة والعجلة ؛ فإن لم تكن بالوصفين الأوَّلين ؛ فاحثُ الترابَ على رأسِكَ ؛ فَإِنَّ مَنْ جالسَ صاحبَ المسكِ عبق عليه من ريحه ؛ فإنَّ الصَّلاةَ مجالسةُ اللهِ تعالى ، فإذا جالسته ولم يحصُلْ لكَ منه شيءٌ دلّ ذلك على مرض فيك ؛ وهوَ : إِمَّا كِبْرٌ ، أو عُجب ، أو عدم أدب ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيتي الَّذِينَ يَتَكَبَرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] .. فلا ينبغي لمَنْ صَلَّى أنْ يُسْرِعَ الخروج ، بل يذكر الله تعالى ويستغفرُ من تقصيره فيها ؛ فرُبَّ صلاةٍ لا تصلحُ للقبول ، فإن استغفرْتَ الله تعالى بعدها قُبِلَتْ .. كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم إذا صلَّى استغفر الله ثلاث مرات.

***

[من أعظم الأمراض الشك في الرزق]

كم فيك من الكوامن ؛ فإذا أُوردَتْ عليها الواردات أظهرتها ، وأعظمها ذنبُ ؛ الشَّكُ في الله ، والشَّكُ في الرزق ؛ شكٌّ في الرازقِ .. الدنيا أحقرُ مِنْ أنْ يُعالَ همُّها ، صَغُرَتِ الهِمَمُ فعالَتْ صغيراً ، فلو كنت كبيراً لَعُلْتَ الكبير ، مَنْ عالَ الهمَّ الصَّغير وترك الهم الكبير استسفلنا عقله .. قمْ أنتَ بما يلزمُكَ من وظائف

العبودية ، وهو يقوم لك بما التزمه .. أيَرزُقُ الجُعَلَ والوزَغَ وبنات وردان وينسى أن يرزقك ؟! فحاشا ثم حاشا ، قال الله تعالى : وَأمر أَهْلَكَ بِالصَّلَوَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى [طه : ١٣٢] .. كلُّ مَنْ كانَ مُراعياً لحقِّ الله تعالى ؛ لا يُحدِثُ الله تعالى حدثاً في المملكة إلا أعلمه ، نظر بعضُهم إلى جماعته فقالَ : (هل فيكُمْ مَنْ إذا أَحَدَثَ الله سبحانهُ وتعالى في المملكة حدثاً أعلمه ؟ (قالوا : لا) ، فقال لهم : (ابكُوا على أنفسِكُمْ) .. كان المتقدمونَ منَ السَّلفِ رضيَ الله عنهم يَسأَلونَ الشَّخصَ عن حاله ؛ ليستثيروا منه الشكر ، والناسُ اليوم ينبغي ألا يُسْأَلُوا ؛ فَإِنَّكَ إِنْ سألت تستثير منهم الشَّكوى .. وعن بعض النباشين : أَنَّهُ تَابَ إلى اللهِ تعالى ، فقال يوماً لشيخه : (يا سيدي ؛ نبشتُ ألف قبر ، فوجدتُ وجوهَهُمْ مُحوَّلةً عنِ القِبْلة !!) ، فقالَ الشَّيخُ : (يا ولدي ؛ ذاكَ مِنْ شَكّهم في الرزق !!) .. يا عبد الله ؛ إذا طلبتَ مِنَ اللهِ فاطلبْ مِنْهُ أنْ يُصْلِحَكَ مِنْ كُلِّ الوُجوه ، وأنْ يُصلِحَكَ بالرَّضا عنهُ في تدبيرِه .. ثمَّ إنَّكَ عبد شرود ؛ طلب منكَ أن تعبر إليهِ فَفَرَرْتَ منه ، فإنَّ الفرار يكون بالأفعالِ والأحوالِ والهمم ؛ فإذا كنتَ في صلاتك تسهو ، وفي صومِكَ تلغو ، وفي لطف الله تشكُ ؛ أفما أنتَ شاردٌ ؟!.. عن الشيخ أبي الحسنِ الشَّاذلي رضي الله عنهُ أَنَّهُ قَالَ : (بقيتُ مرَّةً في البادية ثلاثة أيام لم يُفتح لي بشيءٍ ، فجازَ عليَّ بعضُ النَّصارى فرأوني متكئاً ، فقالوا : هذا قسيس من المسلمين ، فوضعوا عند رأسي شيئاً من الطعام وانصرفوا ، فقلتُ : يا للعجب ؛ كيف رُزقتُ على أيدي الأعداء ولم أرزق على أيدي الأحباء ؟! ، فقيلَ : ليسَ الرَّجلُ مَنْ يُرزَقُ على أيدي الأحباء ؛ إنَّما الرجلُ مَنْ يُرزَقُ على أيدي الأعداء !!..

***

[تربية النفس]

يا هذا ؛ اجعل نفسك كدابّتِكَ كلَّما عدَلَتْ عن الطريق ضربتها فرجعت إلى الطريق ، ولو فعلت مع نفسِكَ مثل ما تفعلُ بجبتك كلَّما توسَّخَتْ غسَلْتَها ، وكلَّما تقطَّعَ منها شيءٌ رقَعْتَهُ وجدَّدْتَهُ ؛ كانَتْ لك السعادة ؛ فرُبَّ رجل ابيضت لحيته وما جلسَ معَ اللهِ

جلسةً يُحاسِبُ فيها نفسه !! .. عنِ الشيخ مكينِ الدِّينِ الأسمر رضي الله عنه قال : (كنتُ في البادئة أحاسب نفسي عند المساء فأقولُ : تكلَّمْتُ اليوم بكذا وكذا ، فأجدُ ثلاث كلمات أو أربعاً) ، وكان عنده يوماً شيخ عمُرُهُ نحو تسعين سنة ، فقال له : يا سيدي ؛ أشكو إليكَ كثرةَ الذُّنوب ، فقالَ لهُ الشَّيخُ : (هذا شيءٌ لا نعرفه ، وما أعرفُ أَنِّي عَمِلْتُ ذَنْباً قط !!).

***

[للدنيا أبناء وللآخرة أبناء]

كما أنَّ للدُّنيا أبناء من استند إليهم كفّوهُ ؛ فكذلكَ للآخرةِ أَبناءُ مَنِ استند إليهم أغنوه ، ولا تقُلْ : طلبنا فلم نجد ؛ فلو طلبت بصدق لوجدت ، وسبب عدم وجدانِكَ : عدم استعدادِك ؛ فإنَّ العروس لا تُجلَى على فاجر ، فلو طلبت رؤية العروس لتركتَ الفُجور ، ولو تركت الفجور لرأيت الأولياء ، والأولياء كثيرون ، لا ينقص عددُهُمْ ولا مددُهُمْ ، ولو نقص واحدٌ منهم لنقص من نور النبوة. إذا أحببت حبيباً لم تصل إليه حتَّى تكون أهلاً للوصول إليه ؛ وذلك حتَّى تَطهُرَ ممَّا أنتَ فيه منَ الرَّذائل .. قالَ الشَّيخُ أبو الحسنِ الشَّاذلي رضي الله عنه (أولياء الله عرائس ، ولا يَرَى العرائس المجرمون)

***

[ميزان للطاعة وللمعصية]

إذا ثقُلَتْ عليكَ الطَّاعةُ والعبادة ، ولم تجد لها حلاوة في قلبك ، وخفّت عليك المعصية ، ووجدت لها حلاوةً ؛ فاعلم : أَنَّكَ لم تصدق توبتُكَ ؛ فإنَّهُ لو صح الأصلُ لصح الفرع .. ليتك لو أطعت مولاك كما يُطيعُكَ عبدك ، فإنَّك تحبُّه ناهضاً في خدمتِكَ دائماً ، وأنتَ تحبُّ الطَّاعة وتطلبُ أنْ تفرغ منها مُسرعاً ، كَأَنَّكَ تنقُرُ بالمناقير ، فيا ليت بصراً نظرت به محاسن غيره .. عُوضْتَ عنه العمى !! .. كم حصل لك الهوانُ بالوقوفِ على أبواب المخلوقين !! وكم أهانوك وأنت لا ترجع إلى مولاك !! .. وعنِ الشَّيخِ مكينِ الدِّينِ الأسمرِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (رأيتُ في المنام حورية

وهي تقولُ : أنا لكَ وأنتَ لي) ، قال : (فبقيتُ نحو شهرين أو ثلاثة لا أستطيع أسمعُ لمخلوق كلاماً إلا تقيّأتُ ؛ لأجل طيب كلامها).. كفاك من الإدبار أن تفتح عينيك في هذه الدار ، قال الله تعالى: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى [طه: ١٣١]، قدَّر لك الصحة والمرض والغنى والفقر والفرح والحزن حتى تعرفه بأوصافه ..

***

[مخاطر صحبة النفس]

من صحبك يوما أو يومين ولم ير منك نفعا تركك وصحب غيرك ، وأنت تصحب نفسك أربعين سنة ولم تر منها نفعا ، فقل لها ارجعي يا نفس إلى رضا ربك ، طالما وافقتك فى الشهوات فتبدلي بعد البطالة بالاشتغال بالله ، وبعد الكلام بالصمت ، وبعد الوقوف بالحارات الجلوس بالخلوة ، وبعد الأنس بالمخلوقين الأنس بالخالق ، وبعد قرناء السوء معاشرة أهل الخير والصلاح ..

***

[دواء نافع وعلاج ناجع]

اجعل أحوالك على ضد ما كنت عليه ، اجعل بدل السهر السهر في طاعة الله ، وبعد الإقبال على أهل الدنيا الإعراض عنهم والإقبال على الله ، وبعد الإصغاء لكلامهم الإصغاء والاستماع لكلام الله عز وجل وذكره ، وبعد الأكل بالشره والشهوة الأكل القليل الذي يعينك على الطاعة ، قال الله تعالى: وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [العنكبوت ٦٩] .. إنما عصى الله من لم يعرف عقابه ، وإنما ترك طاعة الله من لم يعرف ثوابه ، فلو اطلعوا على عذاب النار لما غفلوا ، ولو اطلعوا على ما أعد الله لأهل الجنة لما تركوها طرفة عين . إذا صحبت أبناء الدنيا جذبوك إليها ، وإذا صحبت أبناء الآخرة جذبوك إلى الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم لمن يخالل » ، كما تختار لنفسك

المأكل الطيبة التي لا ضرر فيها ، والزوجة الحسنة لتتزوجها ، فكذلك لا توادد إلا من يعرفك الطريق إلى الله سبحانه وتعالى..

***

[الأخلاء ثلاثة]

واعلم أن لك ثلاثة أخلاء: أحدهما المال تفقده عند الموت ، والثانى العيال يتركونك عند القبر ، والثالث عملك لا يفارقك أبداً ، فاصحب من يدخل معك قبرك وتأنس به ، فالعاقل من عقل عن الله أوامره ونواهيه ..

***

[لاتكن جُعَلِيّاً فَرَاشِيّاً]

مثالك كالـجُعَلِ يعيش فى الروث والعذرة وإذا قرب إليه الوَرْدُ مات من رائحته ، فمن الناس من هو جُعَليّ الهمّة فراشيّ العقل ، فإن الفراش لا يزال يرمي نفسه في النار حتى تحرقه ، فكذلك أنت ترمي نفسك في نار المعصية عمدا ، فلو أردت السير إلى الله تعالى شددت المحزم ، فأين الهمة ؟!.. إنما تأكل لتعيش ، لاتعيش لتأكل ، فإن فعلت ذلك فمثالك على المداود كثير (المداود هي أماكن القذر واجتماع الدود) ، ومثلك فى الدواب كثير ، فإن فعلت ذلك فإن أسبق الخيل ما ضمّر ، تقول هذه الليلة أقلل الأكل فإذا حضر الطعام كأنه حبيب مفارق ، ومن لم يرد الله صلاحه تعبت فيه الأقاويل ، قال الله تعالى: وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ..

***

[لا تُـهن نفسك]

ما أهربك من الهوان وما أوقعك فيه ، تهين نفسك وتلقيها فى مواطن الردى ، قال بعضهم : كن مع الله كالطفل مع أمه ، كلما دفعته أمه ترامى عليها لا يعرف غيرها ، يا عبد الله تنتخب لنفسك الطيبات ، بل تنتخب لدابتك العلف ، وتعامل الله بالمجازفة ، وربما قلبت عشرين بطيخة حتى تصلح لك واحدة

لدهليز مرحاضك ، وتقعد عند الأكل متربعا وربما طوّلت فى الأكل ، وإذا جئت إلى الصلاة نقرتها نقر الديك والوساوس والخواطر الرديئة تأتيك في صلاتك ، مثال من هذه حالته كمن نصب نفسه للهدف وقعد ، والرماح والسهام تقصده من كل جانب ، أفما هذا أحمق ؟! .. مثالك إذا سمعت الحكمة ولم تعمل بها كمثل الذي يلبس الدرع ولا يقاتل ، ألا فقد حصل النداء على سلعتنا فهل من مشتر ؟.

***

[مقامك فيما أقامك]

قيمتك قيمة ما أنت مشغول به ، فإن اشتغلت في الدنيا فلا قيمة لك ، لأن الدنيا كالجيفة لا قيمة لها ، أفضل ما يطلب العبد من الله أن يكون مستقيما معه ، قال الله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] .. فاطلب منه الهداية والاستقامة ، وهو أن تكون مع الله في كل حال بالذى يرضاه لك ، وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى .. من بذل لله صِرْفَ الوُدّ سقاه الله صِرْفَ الكرم..

***

[مثال السالك والمجذوب]

مثال السالك كمن يحفر على الماء قليلاً قليلاً حتى يجد الثقب فينبع له الماء بعد الطلب ، ومثال المجذوب كمن أراد الماء فأمطرت له سحابة فأخذ منها ما يحتاج إليه من غير تعب. إذا أعطيت نفسك كل ما تشتهي وتطلب من الشهوات كنت كمن في بيته حية يسمنها كل يوم حتى تقتله ، ولو جعل فيك الروح من غير نفس لأطعت وما عصيت ، ولو جعل فيك النفس من غير روح لعصيت وما أطعت ، فلذلك جعل فيك القلب والروح والنفس والهوى ، كالنحلة جعل فيها اللسعة والعسل ، فلذلك تتلون ، فالعسل ببره واللسع بقهره ، فأراد الله أن يكسر دعوة النفس بوجود القلب ، ودعوى القلب بوجود النفس ..

***

[طلب منك العبودية الخالصة]

يا عبد الله طلب منك أن تكون له عبداً ، فأبَيْتَ أن تكون إلا ضداً ، إقبالك على الله إفرادك له بالعبادة ، فكيف يرضى لك أن تعبد غيره ، فلو أتيتنا تطلب العطاء منا ما أنصفتنا ، فكيف ترضى إذا أقبلت على من سوانا ؟!.. وقفت الدنيا في طريق الآخرة فصرفت الوصول إليها ، ووقفت الآخرة في طريق الحق فمنعت الوصول إليه .. إن من لطف الله بك أن يكشف لك عن عيوب نفسك ويسترها عن الناس ، إذا أُعطيتَ الدنيا ومُنعتَ الشكر فيها فهي محنةٌ في حقك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قليل الدنيا يلهي عن طريق الآخرة .. كان لبعضهم زوجة فقالت له يوماً لا أقدر على أن تغيب عني ولا أن تشتغل بغيري ، فنودي إذا كانت هذه لا خالقة ولا موجدة وهى تحب أن تجمع قلبك ، فكيف لا أحب أن تجمع قلبك عليّ .. كنت مرة عند الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله عنه فقلت في نفسي أشياء ، فقال الشيخ: إن كانت النفس لك فاصنع بها ما شئت ، ولن تستطيع ذلك ، ثم قال: النفس كالمرأة كلما أكثرت خصامها أكثرت خصامك ، فسلمها إلى ربها يفعل بها ما يشاء ، فربما تعبتَ في تربيتها فلا تنقاد لك .. فالمسلم من أسلم نفسه إلى الله بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١] .. إذا أحبك مولاك أعرض عنك أصحابك حتى لا تشتغل بهم عنه ، وقطع علائقك من المخلوقين حتى ترجع إليه ..

***

[التدرج في علاج النفس]

كم تطلب نفسك إلى الطاعة وهي تتقاعد ، إنما تحتاج إلى معالجة نفسك في الابتداء ، فإذا أذاقك المنّة جاءت اختياراً ، فالحلاوة التي كانت تجدها في المعصية ترجع تجدها في الطاعة ..

مثال الإيمان في القلب كالشجرة الخضراء ، فإذا كثرت عليها المعاصي يبست وفرغ إمدادها ، فمن أحب القيام بالواجبات فليترك المحرمات ، ومن ترك المكروهات أُعين على تحصيل الخيرات ، ومن ترك المباحات وُسّع عليه توسعةً لا يسعها عقله وأباح له حضرته ، ومن ترك استماع ما حَرُم عليه أسمعه كلامه ، ولكن ما أهون القربة التي فيها هوى نفسك عليك !.. وما أثقل ما ليس فيه هوى !. مثاله أن تحج تنفلاً فإن قيل لك تصدق بذلك شق عليك ، لأن أمر الحج يُرى ؛ فللنفس فيه حظ ، والصدقة تُطوى وتُنسى .. وكذلك درسك العلم لغير الله ، فإنك تدرس الليل كله ونفسك طيبة بذلك ، فإذا قيل لك صل بالليل ركعتين شق عليك ، لأن الركعتين بينك وبين الله ليس فيهما للنفس حظ ، والقراءة والدرس للنفس فيها حظّ مشاركةٍ للناس ، فلأجل ذلك خفَّ عليها.

***

[هذا نعلها فكيف وجهها ؟]

قال بعضهم: تاقت نفسي إلى الزواج ، فرأيت المحراب قد انشق وخرج منه نعلٌ من ذهبٍ مكللٌ باللؤلؤ ، فقيل لي هذا نعلها فكيف وجهها ؟! فانقطعت شهوة النكاح من قلبي .. من هُيّئتْ له المنازل لم يُرضَ له بالقعود على المزابل .. فاعمل الأعمال الصالحات بينك وبين الله سراً ولا تُطلع عليه أهلك ، واجعله مدخراً عند الله تجده يوم القيامة ، فإن النفس لها تمتعٌ بذكر العمل .. صام بعضهم أربعين سنة ولم يعلم به أهله ..

***

[الأنفاس جواهر]

لا تنفق أنفاسك في غير طاعة الله ، ولا تنظر إلى صغير النَّفَسِ بل انظر إلى مقداره ، وإلى ما يعطي الله العبد ، فالأنفاس جواهر ، وهل رأيت أحداً يرمي جوهرة على مزبلة ؟! أفتُصلح ظاهرك وتُفسد باطنك ؟!. فمثالك كالـمحموم ، لبس ثياباً جديدة ويخرج منه في الباطن القيح والصديد ، فأنت تُصلح ما ينظر إليه الناس ولا تصلح قلبك الذي هو لربك .. الحكمة كالقيد ، إن قَيدتَ بها نفسك امتنعتْ ، وإن رميتها تسيَّبَتْ ، ويُخاف عليك ، مثال ذلك كالمجنون في بيتك ، يخربه ويقطع الثياب ، فإذا قيدته استرحت ، وإذا طرحت القيد وخرجت فالضرر باقٍ ..

***

[البياض لايحمل الدنس]

يا أيها الشيخ : قد أفنيت عمرك فاستدرك ما فاتك ، قد لبست البياض وهو الشيب ، والبياض لا يحمل الدنس .. مثال القلب كالمرآة ، ومثال النفْسِ كالنَّفَس ، كلما تنفستَ على المرآة تسودّ .. قلب الفاجر كمرآة العجوز التي ضعفت همتها أن تجلوها وتنظر فيها ، وقلب العارف كمرآة العروس كل يوم تنظر فيها فلا تزال مصقولة .. همة الزاهدين في كثرة الأعمال ، وهمة العارفين في تصحيح الأحوال ..

***

[أربعةٌ تعين على جلاء قلبك]

أربعة تعينك على جلاء قلبك ، كثرة الذكر ، ولزوم الصمت ، والخلوة ، وقلة المطعم والمشرب .. أهل الغفلة إذا أصبحوا يتفقدون أموالهم ، وأهل الزهد والعبادة يتفقدون أحوالهم ، وأهل المعرفة يتفقدون قلوبهم مع الله عز وجل .. ما من نَفَسٍ يبديه الله تعالى فيك من طاعة أو مرض أو فاقة إلا وهو يريد أن يختبرك بذلك .. ومن طلب الدنيا بطريق الآخرة كان كمن أخذ ملعقة ياقوت يغرف بها العذرة ، أفما يعد هذا أحمق .. لا تعتقد أن الناس فاتهم العلم بل فاتهم التوفيق أكثر من العلم .. أول ما ينبغي لك أن تبكي على عقلك ، فكما يقع القحط في الكلأ يقع

في عقول الرجال ، وبالعقل عاش الناس مع الناس ومع الله تعالى ، مع الناس بحسن الخلق ، ومع الله باتباع مرضاته ..

***

[النعمة الكبرى بثلاث منن]

إنْ مَنَّ عليك بثلاثة فقد مَنَّ عليك بالنعمة الكبرى ، الأولى الوقوف على حدوده ، والثانية الوفاء بعهوده ، والثالثة الغرق في شهوده .. وما سبب استغرابك لأحوال العارفين إلا استغراقك في القطيعة ، ولو شاركتهم في الأسفار لشاركتهم في الأخبار ، ولو شاركتهم فى العناء لشاركتهم فى الهناء .. ما شأن نفسك وقت الرضا إلا كالبعير المعقول ، فإذا سيّبته انطلق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقلب ابن آدم أشد تقلباً من القدر على النار إذا غلت » .. فكم مَن كان فى جمْعٍ مع الله أتته الفرقة في نَفَسٍ واحد ، وكم مَن بات في طاعة الله ما طلعت عليه الشمس حتى دخل في القطيعة ..

***

[المراد من القلب وتقلّبه]

فالقلب بمثابة العين ، والعين لا ترى بها كلها بل بمقدار العدسة منها ، كذلك القلب لا يراد منه اللحمانية بل اللطيفة التى أودعها الله فيه ، وهي المدركة ، وجعل الله القلب معلقا في الجانب الأيسر كالدلو ، فإن هب عليه هوى الشَّهوة حرَّكَه ، وإنْ هبَّ عليه خاطرُ التَّقوى حركه ، فتارةً يغلب عليه خاطرُ الهوى ، وتارةً يغلب عليهِ خاطرُ التقى ؛ حَتَّى يُعَرِّفَكَ مرَّةً مِنَنهُ ، ومرَّةً قهرَه ؛ فمرَّةً يغلب عليهِ خاطرُ التَّقى ليمدحك ، ومرَّةً يغلب عليه خاطرُ الهوى ليذمَّك ، فالقلب بمثابةِ السَّقفِ ، فإذا أُوقِدَ في البيتِ نارٌ صعدَ الدُّخَانُ إلى السَّقفِ فسوَّدَهُ ؛ فكذلِكَ دُخَانُ الشَّهوة إذا انبثَّ في البدنِ صعدَ دُخَانُهُ إلى القلب فسودَهُ .. إذا ظَلَمَتْكَ القِوَى فارجع إلى القوي ، ولا تَخَفْ مِنهُ فَيُسلَّطَ عليك .. مثالُ مَنْ يَشْهدُ الأضرارَ مِنَ المخلوقينَ : كَمَنْ ضربَ الكلبَ بحَجَرٍ ، فأقبل الكلبُ على الحجرِ يعضُهُ ، ولا يعرِفَ أنَّ الحجر ليس بفاعل ،

فيكون هوَ والكلب سواء !! ومثالُ مَنْ يَشْهدُ الإحسانَ مِنَ المخلوقين : كالدَّابَّةِ إذا رأَتْ سائِسَها بصبَصَتْ إليه بأعينها ، ويدنو إليها مالكها فلا تُلْقي إليه بالاً ؛ فإنْ كنتَ عاقلاً فاشْهدِ الأشياءَ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ولا تشْهَدْها مِنْ غيرِه ..

***

[التائه الحقيقي]

ليسَ التَّائهُ مَنْ تاهَ في البرِّية ، بل التّائهُ مَنْ تاهَ عن سبيل الهدى ؛ يطلبُ العِزَّ من الناس ولا يطلبُهُ منَ اللهِ تعالى !! فمَنْ طلبَهُ منَ الناسِ فقد أخطأ الطريق ، ومَنْ أخطأ الطريق لم يزده سيره إلا بعداً ؛ فهذا هو التائه حقاً .. إذا قلت: لا إلهَ إلا الله طالبَكَ الله بها وبحقها ؛ وهو ألا تنسب الأشياء إلا إليه .

***

[مثال القلب مع النفس]

مثالُ القلبِ إذا أسلمْتَهُ إلى النفْسِ كَمَنْ تعلَّق بغريقٍ فغرِقَ كلُّ واحدٍ منهما ، ومثال النفس إذا أسلمتها للقلب كَمَنْ أسلم نفسَهُ إلى عوَّامِ قوي فسلَّمها .. فلا تكن كمَنْ أَسْلَمَ قلبهُ إلى نفسه ؛ هل رأيت بصيراً قلَّد نفْسَهُ إلى أعمى يقودُهُ ؟! .. إن أمكنكَ أنْ تُصبحَ وتمسي وما ظلمْتَ أحداً منَ العِبَادِ فأنتَ سعيد ، فإن لم تظلِمْ نفْسَكَ فيما بينكِ وبينَ اللهِ فَقَدْ تكملت لك السعادة ، فأغلق عينيك ، وسُدَّ أُذنيك ، وإِيَّاكَ إِيَّاكَ وظلمَ العِبادِ .. ما مثالك في صغر عقلِكَ ، وكونكَ لا تعلمُ ما عليكَ مِنَ الملابس إلا كالمولودِ ؛ تكسوه أمه أحسنَ الملابس وأفخرَهَا وهوَ لا يشعر ، وربَّما دنّسها ونجسها ، فتُسرِعُ إليه أمه وتكسوه أُخَر ؛ لئلا يراه الناسُ كذلك ، وتغسِلُ ما تنجس ولا يعلمُ ما فُعِلَ بهِ ؛ لصِغَرِ عقلِهِ ..

***

[طهر ثيابك من الدنس]

وعن الشيخ أبي الحسنِ الشَّاذلي رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّهُ قالَ : قيل لي : (يا علي ؛ طهِّرْ ثيابَكَ من الدَّنَس تَحْظَ بمددِ اللهِ في كلِّ نَفَس ، فقلت : وما ثيابي ؟ فقيل لي : إنَّ الله تعالى كساكَ حُلَّةَ المعرفة ، ثمَّ حلَّةَ المحبة ، ثم حلة التوحيد ، ثمَّ حلَّةَ الإيمان ، ثمَّ حلَّةَ الإسلام ؛ فمَنْ عرفَ الله صغر لديهِ ُكلُّ شيء ، ومَنْ أَحبَّ الله هان عليه كلُّ شيء ، ومَنْ وحّدَ الله لم يُشْرِكْ به شيئاً ، ومَنْ آمَنَ باللهِ أَمِنَ مِنْ كُلِّ شيء ، ومَنْ أسلم لله قلّما يعصيه ، وإن عصاه اعتذر إليه ، وإن اعتذر إليه قَبلَ عُذْرَه ، قالَ : ففهِمْتُ مِنْ ذلكَ قولَهُ تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهّر ﴾ [المدثر : ٤]

***

[مناجاة الحق ألذّ شيء في الدُّنيا]

يا مَنْ عاش وما عاش ، تخرُجُ منَ الدُّنيا وما ذُقْتَ ألذّ شيءٍ فيها ؛ وهي مناجاة الحق سبحانه وتعالى ، ومخاطبته لك ، فأنتَ مُلقى جيفة بالليل ؛ فإن دُفِعْتَ عنه فاستغثْ باللهِ وقُلْ : يا ملائكة الله ربي ، ويا رسول ربِّي فاتتني الغنيمة التي نالوها مِنْ لذَّة المناجاة ، ووِدادِ المصافاة . إذا كان العبدُ مُعجباً بطاعته ، مُتكبّراً على خلقه ، ممتلئاً عظمة ، يطلب من الخلقِ أن يوفُوا حقوقه ولا يوفّي حقوقهم ، فهذا يُخشى عليه سوء الخاتمة ، والعياذ بالله .. وإذا كان فعل معصية تراه باكياً حزيناً ، مُنكَسِراً ذليلاً ، يتطارحُ على أرجُلِ الصَّالحين ، ويَزورُهم معترفاً بالتقصير ، فهذا يُرجَى له حُسنُ الخاتمة ..

***

[أين مَن يَدلُّ على الله]

إذا طلبت قارئاً وجدت ما لا يُحصى ، وإن طلبت طبيباً وجدت كثيراً ، وإن طلبت فقيهاً وجدت مثل ذلك ، وإن طلبتَ مَنْ يدلُّكَ على الله ويُعرِّفُكَ عُيُوبَ نفسِكَ لم تجد إلا قليلاً ؛ فإن ظفِرْتَ بهِ فأمسكه بكِلْتَا يديك .. إن أردتَ أنْ تُنْصَرَ فكُنْ كلَّكَ ذِلَّةٌ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةُ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .. إذا أردتَ أن تُعطَى فكُنْ كلَّكَ فقراً : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ

لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَكِين [التوبة : ٦٠] .. تكون في وسطِ النَّهْرِ وأنتَ عطشان ، تكون معه في الحضرة وأنت تطلب الاتصال !!.. كأنَّ العباد لم يتأهبوا للآخرةِ إلا بكثرة المأكل والمشارب ، أو قيل لهم : هذهِ تُوصلكم إلى طريق الآخرة ؟! ولكن ما أرخص نفسَكَ عليك !! لولا هوانُها عليك ما عرَّضتها لعذاب الله تعالى ، وما أغلاها عليك فى طلب الدُّنيا وجمعها !! والعجب كلُّ العجبِ فيمَنْ يَسْأَلُ المنجّم عنْ حالِهِ ، ولا يَسْأَلُ كتابَ اللهِ ولا سنَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم !! إذا ضَعُفْتَ عَنِ العبادةِ فَرَقّع عبادتكَ بالبكاء والتضرع ، إذا قيل لكَ : مَنْ يُبْكَى عليهِ ؟ فَقُلْ : عبدٌ عُـوفـي فـأنفَقَ عافيتَهُ في معصية الله !! إذا نِمْتَ على تخليط رأيت التخليط فى منامك ، بل ينبغي لك أن تنام على طهارة وتوبةٍ ، فيُفاتح قلبكَ بنورِه ، ولكنْ مَنْ كَانَ في نهارِهِ لاغياً ؛ كان في ليله عن الله ساهياً

***

[الأدب مع الأولياء]

إذا رأيت وليّاً لله تعالى .. فلا يمنعُكَ إجلالُهُ مِنْ أَنْ تقعد بين يديهِ متأدبا وتتبرك به .. واعلم : أنَّ السماء والأرض لتتأدَّبُ معَ الولي ؛ كما يتأدَّبُ معَهُ بنو آدم .. فمَنْ فرح بالدُّنيا إذا جاءَتْهُ فقد ثبَتَ حُمْقُهُ ، وأحمقُ منه مَنْ إذا فاتته حزن عليها ، فمثالُكَ : كمَنْ جاءَتْهُ حَيَّةٌ لِتلدَغَهُ ، ثمَّ مَضَتْ وسَلَّمَهُ الله منها ، فحزن عليها إذْ لم تضُرُّهُ ..

***

[من علامات الغفلة]

من علاماتِ الغفلة وصِغَرِ العقلِ أن تعولَ همّا هل يَقَعُ أو لا ، وتترُكَ أن تعول همّاً لا بُدَّ مِنْ وقوعِهِ ؛ فتُصْبحَ وتقول : كيفَ يكونُ السِّعْرُ غداً ، وكيف يكون في هذهِ السَّنةِ ؟ وألطافُ الله تعالى تأتي مِنْ حيثُ لا تعلم .. والشَّكُ في الرِّزْقِ شكٌّ في الرازق .. وما سَرَقَ السَّارِقُ ، وما غصَبَ الغاصب إلا رِزْقَهُ ، فما دُمْتَ حيّاً لا يُنْقِصُ مِنْ رِزْقِكَ شيئاً .. كفى بكَ جهلاً أن تعولَ الهمَّ الصَّغير ،

وتترك الهم الكبير !! .. عُلْ همَّ : هل تموتُ مسلماً أو كافراً ، عُل همَّ : هل أنت شقي أو سعيد ؟! عُل همَّ : النارِ الموصوفة بالأبدية التي لا انتهاء لها ، عُلْ همَّ : أَخْذِ الكتاب باليمين أو بالشِّمال ، هذا هوَ الهمُّ الَّذي يُعال ، لا تَعُل همَّ لُقمة تأكلها أو شربة تشربها ؛ أَيَسْتَخْدِمُكَ الملك ولا يُطْعِمُك ؟! أتكون في دار الضيافة وتضيع ؟!.. إنَّ أحبَّ ما يُطاعُ الله بهِ : الثقةُ بهِ .. لأَنْ تكون خاملاً في الدُّنيا خيرٌ لكَ مِنْ أن تكون خاملاً يوم القيامة .. هذه صفاوة العمرِ وغربلته ، يا مَنْ لا يأكلُ الحِنطةَ إلا مُغربلة لا بُدَّ لكَ أنْ يُغَرْبَلَ عمرُك ، فلا يبقى لكَ إلا ما أخلصت فيه ، وما عدا ذلِكَ يُرْمَى

***

[مخالطة الناس أكثر ما يُخاف عليك]

وأكثر ما يُخافُ عليكَ من مخالطة الناس ، ولا يكفيك أن تسمع بأذنيك بل تشاركُهُمْ في الغيبة وهي تنقُضُ الوضوء وتُفطِّرُ الصَّائم !! .. كفى بك جهلاً أن تغار على زوجتك ولا تغار على إيمانِكَ !! .. كفى بك خيانة أن تغار عليها لأجل نفسِكَ ولا تغار على قلبك لأجل ربِّك .. إذا كُنتَ تحفظ ما هوَ لكَ ، ألا تحفظ ما هو لربك ؟!.. إذا رأيتَ مَنْ يُصْبِحُ مهموماً لأجلِ الرّزق ؛ فاعلم أنَّه بعيدٌ مِنَ اللهِ ؛ فإنَّهُ لو قالَ لكَ مخلوق مثلك : لا تشتغل غداً بسببٍ وأنا أُعطيك خمسة دراهم ؛ وَثِقْتَ به وهو مخلوقٌ فقير ، أفما تكتفي بالغني الكريم الَّذِي ضمِنَ لكَ رزقَكَ معَ أجلِكَ ؟! .. أنشد إنسان : إذا العُشْرُونَ مِنْ شعبانَ ولَّتْ = فواصل شُرْبَ ليلكَ بالنَّهار ، ولا تشرب بأقداح صغار = فقَدْ ضَاقَ الزَّمانُ على الصِّغَارِ ، ومعناه عنده : إذا مضَتِ العشرونَ مِنْ شعبان فقد قَرُبَ رمضانُ يقطع علينا الشراب .. ومعناه عند أهل الطريق : إذا خَلَّفْتَ أربعين سنةً وراء ظهرِك ؛ فواصل العمل الصَّالِحَ بالليل والنهار ؛ لأنَّ الوقتَ قَدْ قرُبَ إلى لقاءِ اللَّهِ عَزَّ وجل ، فليس عملك كعمل مَنْ كانَ شاباً ولم يُضيّع شبابَهُ ونشاطه ، وأنت قد ضيَّعت شبابَكَ ونشاطك !!

***

[الذكر أنفعُ العلاجات وأيسرها]

هَبْ أَنَّكَ تريدُ الجِدَّ ولكنْ لا تُساعدُكَ القُوى ، فاعْمَلْ على قَدْرِ حالك ، ورَقِّع الباقي بالذكر ؛ فإنَّهُ لا شيء أسهل منه ، يُمكنُكَ في حالِ القيام والقعود ، والمرض والاضطجاع ؛ فهذا أسهل العبادات ، وهي التي قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فيها : " وليكُن لسانُكَ رَطْباً بذكر الله " .. وأي دعاء أو ذكرٍ سَهُلَ عليكَ فواظب عليه ؛ فَإِنَّ مَددَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وجل ، فما ذكرْتَهُ إلا ببره ، وما أعرضت عنه إلا بسطوته وقهره ، فاعْمَلْ واجتهد ؛ فالغفلة في العملِ خيرٌ مِنَ الغفلة عنه .. ترى حالك حالَ الزَّاهدينَ في الفعل ؛ لأنَّ الطَّالب لا ينقطع عن الأبواب ، بل تجده واقفاً عليها ؛ فمثالك كالثكلى التي مات ولدها ؛ أتراها تحضُرُ الأعراس والأفراح والولائم ؟! بل هي مشغولةٌ بفقدِ ولدِها .. وكمْ يُرْسِلُ لكَ المولى الصَّنائع وأنتَ عبدٌ شَرود ؟! فمثالُكَ : كالطفل في المهْدِ كلَّما حُرِّكَ نام ؛ ولو أَرسلَ لكَ الملِكُ خِلعةٌ ما أصبحْتَ إلا على بابه ، فاغتنم أوقات الطَّاعاتِ واصطبر عليها .

***

[اعص مولاك حيث لا يراك !!]

إن طلبت أن تعصيه فاطلب مكاناً لا يراك فيه ، واطلب قوَّةً مِنْ غيره تعصيه بها ، ولن تستطيعَ شيئاً مِنْ ذلك ؛ لأنَّ الكلَّ مِنْ نِعَمِهِ ، أتأخُذُ نِعَمَهُ وتعصيه بها ؟! بل تتعنَّتُ في المخالفات ؛ مرَّةً بالغيبة ، ومرَّةً بالنميمة ، ومرَّةً بالنظر ، وما بَنيتَهُ في سبعين سنة .. تهدِمُهُ في نَفَسٍ واحد ؟!.. يا هادمَ الطَّاعات ؛ ما سلَّطَ الله عليكَ الفاقة إلا لترفع حالتكَ إليه ولتنجمع عليه ، فيا مَنْ يعرضُ نفسَهُ في الشَّهواتِ والمعاصي ؛ ليتك أعطيتها ذلك في المباحاتِ ، فمَنْ عاملته بالدَّنايا وعاملكَ بالمِنَنِ ؛ كيف لا تحبُّهُ ؟.. مَنْ عاملكَ بالكرم وعاملته باللؤم ؛ كيف لا تحبه ؟ ! .. ما أحدٌ يَصحبكَ فينفعك ، وكلُّ مَنْ يصحبُكَ إِنَّما يصحبكَ لنفسِهِ ، إنَّما تُحبُّكَ الزوجة لتجتني منكَ مطايب العيش والملابس ، وكذلك

الولد يقولُ : أَشُدُّ بكَ ظهري ، فإذا كبرت ولم تبق فيكَ قوَّةٌ ولا بقية رفضُوكَ !!

***

[العزلة والصَّمتُ هما الدواء]

لو انقطعْتَ عَنِ الخَلْقِ لفُتِحَ لكَ بابُ الأُنس بالله تعالى ؛ لأنَّ أولياء الله تعالى قهروا أنفسَهُم بالخلوة والعزلة ، فَسَمِعُوا مِنَ اللهِ وَأَنسُوا به ، فإذا أردت أن تستخرج مرآة قلبكَ مِنَ الأكدار فارفض ما رفضوا - وهوَ الأُنسُ بالخَلْق - وأيش جرى لفلان ، واتفق لفلان ؟.. ولا تقعد على أبواب الحارات ؛ فمَن استعَدَّ استمدَّ ، فإذا هيَّاكَ للاستعدادِ فَتَحَ لك باب الاستمداد ، ومَنْ أحسنَ قرعَ البابِ فُتِحَ له ؛ فرُبَّ طالب أساءَ قرع الباب فرُدَّ لسُوء أدبه ولم يُفتَحْ له .. أكثر ما أُتِيَ العِبادُ مِنْ ِقلَّةِ الصَّمت ؛ فلو نفرت إلى الله لسمعت مخاطبته على الدَّوامِ ؛ في سُوقِكَ وفي بيتك ، ولكن من استيقظ شَهِدَ ، ومَنْ نام لم تسمَعْ أُذُنا قلبِهِ ، ولم تشهَدْ بصيرتُهُ ، ولكنَّ الحجابَ مُرخى.

***

[استفت قلبك]

ولو أنَّ العباد فطِنُوا لم يُقبلوا إلا على الله تعالى ، ولم يجلسوا إلا بين يديه ، ولم يَسْتَفتوا غيرَه ؛ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « استفتِ قلبكَ وإن أفتاكَ الناسُ وأفتوك » ؛ لأنَّ الخواطر الإلهامية تأتي مِنَ اللهِ تعالى ، فهي موافقة ، ورُبَّما أخطأ المفتي ، والقلب لا يقبلُ الخطأ ، وهذا مخصوص بالقُلوبِ الطَّاهرة ، وإنَّما يُستَفْتَى عالم ، ولا عِلْمَ لَمَنْ غفلَ عَنِ اللهِ تعالى .. كانوا رضي الله عنهم لا يدخلونَ في شيء بنفوسهم ، ولكنْ مِنَ اللهِ وبالله .. وإنَّ المسافة بعُدَتْ بين الأولياء والصَّحابة ، فجُعِلتِ الكرامات جبراً لما فاتَهُمْ مِنْ قُرْبِ المتابعةِ التامة ؛ فإنَّ مِنَ الناسِ مَنْ يَقولُ : إنَّ الأولياء لهم الكرامات ، والصَّحابةُ لم يكن

لهم ذلك ، بل كانت لهم الكرامات العظيمة بصحبتهم له صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ، وأي كرامة أعظمُ منها ؟!

***

[الصَّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر]

واعلم : أنَّ كلَّ صلاةٍ لا تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر لا تُسمى صلاة ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنِ الصَّلَوٰةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، وأنتَ تَخْرُجُ مِنَ الصَّلاَةِ وَمِنْ مُناجاة الحق سبحانه وتعالى في قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَمِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] ، ومناجاة الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم في قولك : (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاتُه) ، وهذا في كل صلاة ، ثم تخرج إلى الذنوبِ بعد هذه النعم التي أنعم الله بها عليك ؟!.. عن الشيخ أبي الحسنِ الشَّاذلي رضي الله عنه : أنَّه كان يحضرُ عندَهُ فقهاء الإسكندرية والقاضي ، فجاؤوا مرَّةً مختبرين للشيخ ، فتفرس فيهم ، وقال : (يا فقهاء يا فقهاء ؛ هل صلَّيتُمْ قطُّ ؟) ، فقالوا : يا شيخُ ؛ وهل يترُكُ أحدٌ الصَّلاة ؟! فقال لهم : (قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنسَنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ [المعارج : ١٩ - ٢٢] ، فهل أنتم كذلِكَ : إذا مسَّكُمُ الشَّرُّ لا تجزعوا ، وإذا مسَّكُمُ الخيرُ لا تمنعوا ؟!) قال : فسكتوا جميعاً ، فقال لهمُ الشَّيخُ : (فما صليتُمْ قط هذهِ الصَّلاةَ) ..

***

[التوبة محض فضل من الله]

إن تفضَّل عليك بالتوبةِ فتبتَ إليه فمِنْ فضلِهِ سبحانه وتعالى .. إنَّكَ تُذنب سبعين سنةً فتتوبُ إليهِ في نَفَسٍ واحد ، فيمحو ما عملته في تلك المدة .. التائبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذنب له ؛ فالمؤمنُ كلَّما ذكر ذنبه حزن ، وكلما ذكرَ طاعته فرح ، قالَ لقمان الحكيم : (المؤمنُ لهُ قلبان : يرجو بأحدهما ، ويخافُ بالآخر ؛ يرجو قبول عمله ، ويخافُ ألا يُقْبَلَ منه) ، ولو وزن خوفُ المؤمن ورجاؤُه لاعتدلا .. مَنْ أراد الجمع على الله فعليه

بقيام أوامر الله .. إذا اطلعت على زوجتِك بخيانة فإنَّكَ تغضب عليها ؛ فكذلِكَ نفسك قد خانتكَ في عُمُرِكَ ، وأجمعَ العُقلاء على أنَّ الزوجة إذا خانَتْ ، لا يُؤْوِيها زوجُهَا بل يطلقها ، فطلق نفسك ..

***

[أكثرُ ما يُدخِلُ الجنة]

سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : ما أكثر ما يُدْخِلُ الناس الجنةَ ؟ فقال عليهِ الصَّلاة والسلام : " تقوى اللهِ ، وحُسْنُ الخُلُق " ، فقيل له : فما أكثرُ ما يُدخِلُ الناس النَّار ؟ فقال عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : " الأجوفان : الفم والفَرْجُ ".. فاغسل قلبك بالندم على ما فاتَكَ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ .. غلِطُوا واللهِ فِي النَّوائِحِ على زوجةٍ أو زوج أو ولد ، بل كان حقهم أن يُقيموا النوائح على فُقْدانِهم تقوى اللهِ مِنْ قلوبِهِم ..

***

[الورع يحجزك عن المعاصي]

تُقَهْقِهُ بالضَّحكِ كأنك قد جاوزت الصراط وعَبَرْتَ النيران !!.. إِنْ لم يكُنْ بينك وبينَ اللهِ وَرَعٌ يحجُزُكَ عن معاصي الله إذا خلوت ، وإلا فضع التُّرابَ على رأسِكَ ؛ لقولهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « مَنْ لم يكنْ لَهُ ورعٌ يحجزه عن معاصي الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيءٍ مِنْ عمله » .. لا شيء يُخجِلكَ يوم القيامة مثل درهم أنفقته في حرام ..

***

[احذر موالاة الذنوب]

ليسَ الشَّأْنُ مَنْ يرفُقُ بكَ إذا وافقته ، بل الشَّأْنُ فِي مَنْ يرفُقُ بكَ إِذا خالفته ، وممَّا يُخافُ عليكَ : موالاة الذُّنوب ليستدرِجَكَ فيها ، ويُمَكِّنَكَ منها ، قال الله تعالى : ﴿ سَنَتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم : ٤٤] .. إنْ كَانَتْ مَعَكَ عنايةٌ ينفعك القليل ،

وإن لم تكُنْ معَكَ عناية لم ينفعك الكثير ، لو كُشِفَ عنكَ الحجابُ لرأيت كل شيء ناطقاً مُسبحاً الله تعالى ؛ ولكنَّ النَّقص فيكَ ، والحجاب منكَ !!..

***

[إياك أن ترخص دينك]

ما أكثر احترازكَ على بدنِكَ ، وما أرخص دينك عليك !!.. لو قيل لك : إنَّ هذا الطعام مسموم لامتنعت منه ، ثمَّ لو حلف لكَ بالطَّلاقِ ليس بمسموم لتوقفت عنه ، بل لو غسلت الوعاء الَّذِي هُوَ بِهِ مراراً لنفَرَتْ نفسُكَ منه ؛ فلِمَ لا تكُن كذلك في دينك ؟!.. وكم الله عليكَ مِنْ أيادٍ أكثرَ مِنْ أُمَّك !! إنَّها إذا أخذتْكَ وأنتَ صغير تُلبِسُكَ أحسنَ الملابس ، فإنْ وسَخْتَها تخلع عليك ثياباً أُخَرَ في الوقت ، وأنتَ تأتي إلى مملكة مُزينة ليس فيها موضع شبرٍ إلا ويصلُحُ للسجودِ عليه ، تكشفُ ثيابَكَ وتوسّخُهُ بالمعصية ؟! هكذا فِعْلُك ، تُجلَى عليكَ المحاسنُ فتجعل فيها ما يُكَدِّرُها مِنَ المعصية !! ليس كلُّ مَنْ صحِبَ الأكابر اهتدى بصحبتهم ، فلا تجعل صحبة المشايخ علة في أمنك ، فمَنِ اغْتَرَّ بالله فقد عصاه ؛ لأنَّكَ أَمِنْتَ عقوبته ؛ كما يقولُ الجاهلُ : صحبتُ سيدي فلاناً ، ورأيتُ سيدي فلاناً ، ويَدَّعونَ دعاوى كاذبة باطلة ، بل كان ينبغي لهم أن تزيدَهُمْ صحبةُ المشايخ خوفاً ووَجَلاً ؛ فقد صحِبَ الصَّحابة رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلم وكانوا أكثر وجلاً ومخافة ، وربَّما كانَ الغِنى دفعاً والفقرُ جمعاً ؛ لأنَّ الفاقةَ تُحوِجُكَ أن تتضرَّعَ إلى الله ، ولفاقةٌ تجمعُكَ على الله خيرٌ مِنْ غنىً يقطعُكَ عنه ..

***

[أعرض عن العصاة وادعُ لهم]

كما أُمِرْتَ أَنْ تُعرِضَ عن المعصية أُمِرتَ أنْ تُعرضَ عمَّنْ عصى ، وتدعو له في الغيبة ، والناسُ اليوم على العكس ، وما عسى أنْ يَنفَعَكَ صومُكَ وصلاتُكَ وأنتَ تقَعُ في عرض أخيك المسلم ؟!..

***

[جددوا إيمانكم]

قولُه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « جدِّدُوا إيمانكم بقول : لا إلهَ إلَّا الله » ، فدل ذلك على أنَّه يحصلُ لهُ غبار المعصية ، ودنس المخالفة ، وما كُلُّ غِشّ يُطهِّرُهُ الماء ، بل رُبَّ غش لا يطهّرُهُ إلا النار ؛ كالذهب إذا كان فيه الغِش ، فكذلك العصاة من هذهِ الأُمَّةِ لا يَصلحونَ لدخول الجنةِ حَتَّى تُطهِّرَهُمُ النَّار .. لا تحسد إلا عبداً قد لُفّ في ملابس التقوى ، هذا هو العيش ، وما أطيب عيش المحبِّ مع الحبيب إذا لم يطَّلع عليه رقيب !! فإنْ أحبَّ أن يطَّلع عليه رقيب فما صدق في حبّه ، وكلُّ مَنْ أحَبَّ أَنْ يَعلم أحدٌ بحاله فقد خُدع ..

***

[طلق الدُّنيا قبل أن تطلقك]

ولا تكُنْ كأربابِ الدُّنيا الَّذينَ طلَّقتْهُم الدُّنيا ، بلْ كُنْ مِنَ الَّذِينَ طلقوها وفارقوها قبل افتراقهم . فمثالُكَ إذا آثرتَ الدُّنيا على الآخرة كمَنْ كَانَتْ له زوجتان ؛ إحداهما عجوز خائنة ، والأخرى شابة وفيَّة ، فإذا آثرت العجوز الخائنة على الشَّابة الوفية ؛ أفما تكون أحمق ؟!.. ربَّما قضى عليكَ بالذَّنْبِ ؛ ليُخْرِجَ منكَ الكِبْرَ والعُجب ، فقد رُوِيَ رُبَّ ذنب أدخل صاحبَهُ الجنةَ .. يصلِّي الرَّجُلُ ركعتين فيعتمدُ عليهما ، ويركن إليهما ، ويُعجَبُ بهما ؛ فهذه حسنةٌ أحاطَتْ بها سيئات ، وآخر يفعلُ المعصية فتُكْسِبُهُ الذِّلَّةَ والانكسار ، وتُديمُ المسكنة والافتقار ؛ فهذه سيئة أحاطَتْ بها حسنات ..

***

[اشتغل بإساءتك عن إساءة غيرك]

كفى بك جهلاً نظرُكَ إلى صغير إساءة غيرك ، وتعاميك عن كبير إساءتك !!.. لا تنتقد على الناس بظاهرِ الشَّرع ، ولا تُنكر عليهم ؛ فلو خُوطِبَ الناسُ اليوم بما كانَتْ عليهِ الصَّحابةُ والسَّلفُ الصَّالحُ لم يستطيعوا ؛ لأنَّ أولئكَ حُجَجُ الله على خَلْقه .. مثالُ الدُّنيا عندَ أرباب البصائر كجيفةٍ أدخلَتِ الكلاب خراطيمها فيها ، أرأيت إذا

غمَسَ رجلٌ فمَهُ في جيفة ؛ أفما تعيب عليه ؟.. فإذا كان الحق سبحانه وتعالى قد جعل ميزاناً للبيع والشراء ؛ أفما جعل ميزاناً للحقائق ؟! .. المتنجِّسُ القَدَمِ لا يصلح للمحاضرة ؛ فكيفَ بمَنْ تَنجَّسَ فمُهُ ؟!

***

[من خان هان]

من خان هان ؛ قيمة اليد خمس مئة دينار ، فإذا خانَتْ قُطِعَتْ في ربع دينار ، ومَنْ تجرَّأَ على صغيرة وقع في كبيرة .. اعرف كمائن نفسِكَ ولا تثق بها ، إذا قالَتْ لك زُرْ فلاناً ؛ فربَّما رحت إلى نارٍ تتأجج ، ترمي نفسَكَ فيها عمداً ، فما هذا زمان اجتماع ، قلّما تجلس مجلساً إلا وتعصي الله فيه ؛ فكثيرٌ مِنَ السَّلفِ آثروا الجلوس في بيوتهم ، وتركوا صلاة الجماعة ، فإن طالبتكَ النَّفْسُ بالخروج فاشغلها بالقُعودِ في الدارِ بشيءٍ مِنَ الطَّاعات ؛ فإنَّ الغيبة أشدُّ مِنَ ثلاثينَ زنيةً في الإسلام ، ولكنَّ الكلاب لا ترقد في دار عالية الحيطان بل على المزابل ..

***

[أمثلة القلوب كالديار]

مَنْ أراد أن ينظر إلى أمثلة القلوب فلينظُرْ إلى الدِّيارِ ، فدارٌ خربَتْ قد بقيت مبولةٌ للبوّالينَ ، وقلبٌ كالدَّارِ العامرة ، وقلبٌ كالدَّارِ الخراب لا تطهر حتّى تعامل الله تعالى ، فتصدَّقُ كلَّ يومٍ ولو بربع درهم أو بلقمةٍ ؛ حَتَّى يكتبَكَ اللهُ في ديوانِ المتصدقين ، واتْلُ مِنَ القرآنِ ولو آيةً حتّى يكتبَكَ الله في ديوان التالينَ ، وصل من الليل ولو ركعتين حتّى يكتبَكَ اللهُ معَ القائمين وإياك أن تغلطَ وتقول مَنْ عِندَهُ قوتُ يوم بيوم كيف يتصدَّقُ ؟!.. قال الله تعالى لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ ؛ فمثالُ المسكين إذا تُصُدِّقَ عليه كالمطية تحمل زادَكَ إلى الآخرة .. مَنْ أرادَ النهاياتِ فعليه بتصحيح البدايات ..

***

[الشَّفاء بمر الدواء]

مَنْ صَدَقَ مَعَ اللهِ كفاه الله مضرَّةَ الأعداء ، وحمل عنه مؤنة الأدواء ؛ لأنَّه قد هانَ كلَّ الهوانِ مَنِ احتاجَ إلى الخَلْقِ .. أتظنُّ أنَّ الدَّواء حلوى تأكلُهُ ؟! إنْ لم تهجم عليه هجماً لم يحصل لكَ الشَّفاء ، فاهْجُمْ على التّوبة ، ولا تغلبنك حلاوة المعصية ، وإذا رأيت نفسك متطلعة إلى الشَّهوة فاهرب إلى اللهِ واستغِثْ بهِ ؛ فَإِنَّهُ ينجيك منها .

***

[أين البصيرة ؟]

بدل ما تقولُ أينَ أصحابُ الخطوة ؟ أينَ الأولياء ؟ أينَ الرَّجالُ ؟ قُلْ : أينَ البصيرة ؟.. هل يصلح للمتلطّخ بالعَذِرَةِ أن يَرى بنتَ السُّلطانِ ؟!.. عَنِ الشَّيخِ مكينِ الدِّينِ الأسمر رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّهُ قَالَ : كُنتُ بالإسكندرية فرأيتُ شمساً قد طلَعَتْ معَ الشَّمس ، فتعجبْتُ مِنْ ذلكَ ؛ فدنوت فإذا شاب كما خطّ عِذَارُهُ ، قد غلَبَ نورُهُ على نورِ الشَّمسِ فسلَّمْتُ عليهِ ، فردَّ عليَّ السَّلامَ ، فقلتُ لهُ : مِنْ أينَ ؟ فقالَ : صليتُ الصُّبحَ في المسجد الأقصى ببيت المقدس ، وأُصلِّي عندَكُمُ الظهر، وأُصلي العصر بمكة ، والمغرب بالمدينة ، فقلت له : تكونُ ضيفي ؟ فقال : لا سبيل إلى ذلك ، ثم ودعني وانصرف .

***

[إكرام المؤمن وإيذاؤه]

مَنْ أكرم مؤمناً فكأَنَّما أكرم الله تعالى ، ومَنْ آذَاهُ فَقَدْ آذَى سَيِّدَهُ ومولاه ، فإيَّاكَ أنْ تُؤذي مؤمناً ؛ فإنَّ نفسَك قد امتلأت بمساويها، فيكفيها حملكَ .. ما مثالك إلا كالبصلة إذا قُشّرَتْ خرجَتْ كلُّها قشوراً .

***

[طريقة لتنظيف القلب]

إذا أردتَ تنظيف الماءِ قَطَعْتَ عنه أسبابَهُ الخبيثة ، فمثالُ الجوارح كالسواقي تجري إلى القلبِ ، فإيَّاكَ أنْ تسقي قلبَكَ بالرديء ؛ كالغيبة والنميمة والكلام السيىء ، والنَّظر إلى ما لا يحِلُّ ، وغيرِ ذلك ، فإنَّ القلب لا يحجبه ما خرج منه ، وإنَّما يحجبه ما أقام فيه ؛ فاستنارة القلب بأكل الحلال والذِّكرِ وتلاوة القرآن ، وصونه عنِ النَّظر إلى الكائنات المباحات ، والمكروهات والمحرمات ، فلا تُطلق صائد بصرك إلا لمزيد علم أو حكمة ..

***

[اتّـهم نفسك]

عوض ما تقولُ : هذهِ المرآة صدِئَتْ ، قُلْ : عيني بها رمد .. يكونُ بكَ حبُّ الرِّياسةِ والجاه وغيرهما ، وتقول : ما يجذبُ الشَّيخُ قلوبنا !! .. ولكنْ قُلِ : العائق منّي ، لو استعددت في أول يوم لم تحتج إلى حضور مجلس ثانٍ ، وإنَّما احتجت إلى التكرار لقوة صدأ قلبك حتَّى تكون لكل جلسة صقلة .. عليك بالحوالة على مولاك ، واترُكْ مَنْ لا يستطيعُ أَنْ ينفع غيرَهُ .. اقطَعْ إياسَكَ مِنَ الخلق ، ووجّه رجاءَكَ إلى الملكِ الحقِّ ، وانظُرْ ماذا عمل معك من أوَّلِ نشأتِكَ ؟ ما صنعَ معكَ إلا جوداً وإحساناً ، وانظر ماذا صنعت معه فلا ترى إلا جفاء وعصياناً .. ما أكثر موالاتكَ للمخلوقين ، وما أقل موالاتكَ للهِ عزَّ وجلَّ !!

***

[الجوارح والقلب]

جوارحكَ غنمُكَ ، وقلبُكَ هوَ الرَّاعي ، والله هو المالكُ ؛ فإن رعيتها في المرعى الخصيب حتَّى أرضيت المالك ؛ استوجبت الرضا ، وإن رعيتها في المرعى الوخيم حتَّى أعجف أكثرها ، ثمَّ جَاءَ الذِّئب فأخذ بعضها ؛ استوجبت العقوبةَ مِنَ المالكِ ؛ فإن شاء انتقم منك ، وإن شاء عفا عنك .. فجوارحك : إما أبواب إلى الجنة ، وإما أبواب إلى النار ؛ فإن صرفتها فيما يرضاه ؛ كنتَ ساعياً في طريق الجنة ، وإلا كنت ساعياً في طريق النار ..

***

[ميزان الآخرة]

فهذه موازين الحكمةِ ، فزِنْ بها عملَكَ كما تزن بها الأشياء المحسوسات ؛ فإن أردت أن تعرف كيف تمرُّ على الصِّراطِ فانظُرْ حالك في الإسراع إلى المساجدِ ؛ فحَريٌّ أنْ يكونَ الَّذي يأتي المسجد قبل الأذانِ أنْ يمرَّ على الصِّراطِ كالبرق الخاطفِ ، والذي يأتي في أول الوقتِ يمر عليه كأجاويد الخيل .. وههنا صراط الاستقامة لا يُشهَدُ بالأبصار ، ولكن تشهده القلوبُ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمَا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، ولم يُشِرْ إلا إلى موجودٍ ؛ فمَنْ أضاءتْ لهُ الطريقُ يتبعها ، ومَنْ كانَتْ طريقه مظلمة لم يشهدها فيبقى متحيراً .. فإن كنت قد أطلقت سمعك وبصرَكَ ولسانك برهةٌ مِنْ عُمرِكَ فَقَيَّدِ الآن ما أطلقت ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَدخُلُ فقراءُ المؤمنين الجنةَ قبل الأغنياء بخمس مئة عام ؛ وذلك لأَنَّهم سبقوا في الدُّنيا بالعباداتِ ؛ وأنت تترك الجماعة وتُصلي وحدَكَ ، وإذا صليتها نقرْتَها نقرَ الدِّيكِ ؟! وهلْ يُهدَى للمُلوكِ إلا ما حسُنَ وانتُخِبَ ؟! فما سبق الفقراء إلى الجنَّة إلا لأنّهم سبقوا إلى خدمة المولى في الدنيا ، والمراد بالفقراء : الصُّبَّرُ الذين صبروا على مر الفاقة ؛ حَتَّى إنَّ أحدهم ليفرح بالشَّدَّة كما تفرح أنتَ بالرَّخاءِ .. كفى بك جهلاً : أن تتردَّد إلى المخلوقِ وتترك باب الخالق ؛ فقَدِ ارتكبت المعاصي من كل جانب ، أفلا تكونُ مَحزوناً على نفسِكَ ؟! والعجبُ كلُّ العجبِ : مِنْ عبدٍ يُقبلُ على صحبة نفسِهِ ولا يأتيهِ الشَّرُّ إلا منها ، ويترك صحبة الله ولا يأتيه الخيرُ إلا منهُ ..

***

[صحبة كل شيء على حسبه]

فإن قيل : كيف صُحبتك الله ؟ فاعلم : أنَّ صحبة كل شيء على حسبه ؛ فصحبة الله تعالى : بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وصحبةُ الملَكَيْنِ : بأن يُمليهما الحسنات ، وصحبةُ الكتاب والسُّنَّة : أن يعمل بهما ، وصحبتُكَ السَّماءَ : بالتَّفكُّر فيها ،

وصحبتُكَ الأرضِ : بالاعتبار لما فيها .. وليسَ مِنْ لازمِ الصُّحبة وجود الرتبة ؛ فالمعنى في صحبةِ اللهِ : صحبةُ أياديهِ ونِعَمِهِ ؛ فَمَنْ صَحِبَ النِّعم بالشكر ، وصحِبَ البلايا بالصبر ، وصحب الأوامر بالامتثالِ ، والنَّواهي بالانزجار ، والطَّاعَةَ بالإخلاص ؛ فقد صحبَ الله تعالى ، فإذا تمكَّنَتِ الصُّحبةُ صارَتْ خُلَّة .. إيَّاكَ أن تقول : ذَهَبَ الخيرُ وطُوِيَ بِسَاطُهُ ؛ فَلسْنَا نُرِيدُ مَنْ يُقَنِّطُ النَّاسَ مِنْ رحمة الله تعالى ويُؤَيِّسُهُم مِنَ الله ؛ ففي زبور داوود عليه الصَّلاة والسَّلامُ : « أرحمُ ما أَكُونُ بعبدِي : إذَا أَعْرَضَ عَنِّي ؛ فَرُبَّ مُطيع هلَكَ بالعُجْبِ ، ورُبَّ مُذنبٍ غُفِرَ لَهُ بِسبب كَسْرِ قلبِهِ ..

***

[عبد سبق سيده]

عن الشيخ مكينِ الدِّينِ الأسمرِ رحمهُ اللهُ تعالى أنَّه قال : رأيتُ بالإسكندرية عبداً معَ سَيّدِهِ وعليهما لواء قد أطبق ما بينَ السَّماءِ والأرض ، فقُلْتُ : يا تُرى هذا اللواء للسَّيِّد أو للعبد ؟ فتبعْتُهُمَا حَتَّى اشتَرَى لَهُ سَيِّدُهُ حاجةً وفارقَهُ فلما ذهب العبد ذهبَ مَعَهُ اللواء ، فعلمْتُ أَنَّه وليُّ مِنْ أولياء الله تعالى ، فجئتُ إلى سَيِّدِهِ وقلتُ له : أتبيعُني هذا العبد ؟ فقال : لماذا ؟ فما زالَ بي حتَّى ذكرتُ لَهُ أمرَهُ ، فقال لي : يا سيدي ؛ والذي تطلبُهُ أنتَ أنا أولى بِهِ ، فأعتقه ، وكان ولياً كبيراً .. فمنهُمْ مَنْ يَعرِفُ الأولياء بالشَّمِّ مِنْ غيرِ وجودِ طيبٍ ، ومنهُمْ مَنْ يَعرِفُهُمْ بالذوقِ ، إذا رأى وليّاً ذاق طعم الحلاوة في فمه ، وإذا رأى صاحب قطيعة ذاق طعم المرارة في فمه !!

***

[الحمية أصل الدواء وعمر الغافل ذاهب هباء]

مَنْ لم يترُكِ المحرَّماتِ لم ينفَعُهُ القِيام بالواجباتِ ، مَنْ لم يَحْتَمِ لم يَنفَعُهُ الدَّواءُ .. ما أقل بركة مال وقعَتْ فيهِ أيدِي النَّاهبينَ !! فهذا ـ والله ـ عُمُرُ الغافل منهوب .. مثال الدنيا : كعجوز جذماء برصاءَ سُتِرَتْ بثوب حريرٍ ، فالمؤمن نافر و مُنَفِّرٌ عنها ؛

لانكشافِهَا لَهُ .. وما لبس أحدٌ لباساً أنْتَنَ مِنْ لباس الدعوى ؛ بأن يقول في المخاصمة : أنتَ مثلي وأنتَ َيصلُحُ لكَ أنْ تُكَلِّمَني ؟ ومَنْ أَنتَ حَتَّى أُكلِّمَكَ ؟ فأَوَّلُ مَنْ هَلَكَ بذلك إبليس ؛ فإِيَّاكَ وهذَا وَلَوْ كانَ أعرجَ أجذمَ أجرب ؛ فلا تَحقِرُهُ ؛ لِـحُرمَةِ : (لا إلهَ إلا الله) في قلبهِ ، وحَسِّنْ ظَنَّكَ بكل أحدٍ تُفلح ..

***

[حقيقة حسن الخُلُق]

أتحسبُ أَنَّ حُسْنَ الخُلُقِ هوَ أنْ يكونَ الإِنسانُ حَسَنَ الملقى ؟. مَنْ أكرمَ النَّاسَ وضيَّعَ حقوق الله تعالى ؛ ليس هذا بخُلُقٍ حَسَنٍ ، بل لا تكون ممدوحاً بحُسْن الخُلُقِ حتّى تكون قائماً بحقوق الله تعالى ، وقائماً بأحكامه ، مُستسلماً لأوامر الله تعالى مُجتنباً لنواهِيهِ ؛ فمَنْ مَنَعَ نفسه معاصي الله وأدَّى حقوق الله تعالى فَقَدْ حَسُنَ خلقه .. ما سلَّط الله عليك ألسنة العبادِ إلا لترجع إليه .. لا تزالُ لك قيمةٌ عندَ اللهِ تعالى حتَّى تعصِيَ ، فإذا عصيتَ فلا قيمة لكَ .. التَّقوى : هِيَ تركُ معصية الله حيثُ لا يَرَاكَ أحدٌ ..

***

[من أدب النبوة]

كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم إذا شربَ الماءَ قال : « الحمدُ للهِ الَّذِي جعَلَهُ عَذْباً فُراتاً برحمَتِهِ ، ولم يجعله ملحاً أُجاجاً بذُنوبنا » وهوَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم مقدَّس عن الذُّنوب ، ولكِنْ تواضعاً منْهُ وتعليماً ، وكانَ يُمكِنُ أنْ يقول : (بذنوبِكُم) ، وما أكَلَ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ولا شرب إلا ليعلمنا الأدب ؛ وإلا فكان صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يُطعَمُ ويُسْقَى .. فالعارف يُنكِّسُ رأسَهُ إذا شرِبَ ، وربَّما تقطرُ عيناه بالدموع ويقولُ : هذا تودد مِنَ الله تعالى .. كان بعضُهُمْ لا يَخْرُجُ لصلاة الجماعة ؛ لما يَعْرِضُ له في طريقه ، منهم : مالك بن أنس رضي الله عنه ، لأنَّ الجماعةَ رِبْح ، والرِّبحُ بعد رأس المال لا يُحسَبُ .. ليسَ السِّباعُ في البريَّةِ ، بلِ السَّباعُ في الأسواقِ والطُّرُقِ ، وهيَ التي تنهش القلوبَ نَهْشاً ، مثالُ مَنْ يُكثِرُ مِنَ الذُّنوبِ والاستغفار : كمثلِ مَنْ يُكَثِرُ شُرْبَ السُّم ، ويُكثر

استعمال الترياق ، فيُقالُ لَهُ : قَدْ لا تصل إلى الترياق مرَّةٌ ، فيهجُمُ عليك الموتُ قبل الوصول إليهِ ..

***

[مرض القلب وعلاجه]

مَنْ مرض قلبهُ مُنِعَ أنْ يلبس لباسَ التَّقوى ، فلو صح قلبُكَ مِنْ مرض الهوَى والشَّهوة تحمَّلْتَ أثقالَ التَّقوى ؛ فمَنْ لم يجد حلاوة الطَّاعة دلّ على مرض في قلبِهِ منَ الشَّهوة ، وقَدْ سَمَّى اللَّهُ تعالى الشَّهَوةَ مرضاً بقوله تعالى : ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب : ٣٢] .. ولك في علاجه طريقانِ : استعمال ما هوَ لكَ نافع ؛ وهو الطَّاعة ، واجتناب ما هوَ لكَ مُضِرٌ ؛ وهو المعصية .. فإِنْ فعلتَ ذَنْباً وأعقَبْتَهُ بالتَّوبة والندم والانكسار والإنابة كان ذلك سبب وصلتِكَ ِبهِ ، وإن فعلت طاعة وأعقبتها بالعُجبِ والكِبْرِ كانَ ذلكَ سبب القطيعة عنه ، عجباً لك ؛ كيف تطلب صلاح قلبك وجوارِحُكَ تفعلُ ما شَاءَتْ مِنَ المحرَّماتِ ؛ كالنَّظرِ والغيبة والنميمة وغيرِ ذلِكَ ؟!.. فمثالُكَ : كَمَنْ يَتداوى بالسُّمِّ ، أو كمَنْ أراد تنظيف ثوبه بالسَّوادِ ، فعليكَ بالخَلوةِ والعُزلةِ ، فمَنْ كانَتِ العُزلةُ دأبَهُ كانَ العِزُّ لَهُ ، فَمَنْ صدقت عزلتُهُ ظفر بمواهب الحقِّ له بالمِنَنِ ، وعلامتها : كشفُ الغِطاء ، وإحياء القلب ، وتحقيق المحبة ..

***

[المعوّل على حسن العمل لا كثرته]

عليك بحُسن العمل لا بكثرته ؛ فمثالُ كثرة العمل مع عدم الحُسْنِ فيهِ : كالثيابِ الكثيرةِ الوضيعةِ الثَّمن ، ومثال قلة العمل مع حُسنِهِ : كالثيابِ القليلةِ الرّفيعةِ الثَّمن ؛ كالياقوتة صغير جرمُها ، كثير ثمنها ، فمَنْ أشغلَ قلبَهُ باللهِ ، وعالجَهُ ممَّا يطرأ عليه من الهوى كان أفضل ممَّنْ يُكْثِرُ مِنَ الصَّومِ والصَّلاةِ .. مثالُ مَنْ صَلَّى الصَّلاةَ بغيرِ حضورِ قلب : كانَ كَمَنْ أَهْدَى للمَلِكِ مِئةَ صندوق فارغة ، فيستحقُ العقوبةَ مِنَ الملِكِ ، ومَنْ صلاها بحضور القلب كانَ كمَنْ أهْدَى لهُ ياقوتةً تُساوِي ألفَ دينار ؛ فإنَّ الملِكَ

يَشكرُهُ عليها دائماً .. إذا دخلت في الصَّلاةِ فإنَّكَ تُناجي الله سبحانه وتعالى ، وتُكلِّمُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ؛ لأنَّكَ تقولُ : (السَّلامُ عليكَ أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاتُهُ) ، ولا يُقالُ : (أيُّها الرَّجلُ) عند العرب إلا لمن يكون حاضراً ..

***

[ركعتان في جوف الليل]

ركعتان باللَّيلِ خيرٌ مِنْ ألفِ ركعة بالنَّهارِ ، وأنتَ لا تُصلِّي فِيهِ ركعتين فتجد ذلك في ميزانك ، وهل يُشترَى العبد إلا للخدمة ؟!.. هل رأيت عبداً يُشترى ليأكل وينام ؟! ما أنتَ إلا عبد اشتُرِيتَ ؛ قال الله تعالى : إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ [التوبة : ١١١] .. مَنْ لم يُلزِم نفسَهُ لزمَتهُ ، ومَنْ لم يُطالبها طالبَتْهُ ، فلو جعلْتَ عليها الأثقالَ بالطَّاعة لما طالبتكَ بالمعصية ، ولما كانت تتفرغ لها ، هل رأيْتَ الصَّالحين والعُبَّادَ يتفرجون في الأعيادِ ؟. مَنْ شغَلَ نفسَهُ بالمباحاتِ والفرح شُغِلَ عَنْ قِيامِ اللَّيْلِ ، فيُقال له : شغلْتَ نفسكَ عنا فشغلناك عن عبادتِنَا .. ركعتان في جوفِ اللَّيْلِ أَثْقَلُ عليكَ مِنْ جَبلٍ أُحُدٍ ، فَأَعضاءٌ يَبِسَتْ عَنِ الطَّاعَةِ لا تصلُحُ إلا للقطع ؛ فإنَّ الشَّجَرَةَ إذا يَبِسَتْ لا تصلُحُ إلا للنَّارِ .. مثلُ مَنْ أحبَّ الدُّنيا بقلبه كبناءٍ حسن بُنيَ فوقَهُ مِرْحَاضٌ ، فَرَشَحَ عليهِ ، فلا يَزَالُ كذلِكَ يُرَى ظاهرُهُ كباطنِهِ ، ومِنهُمْ : مَنْ يُنَقِّيهِ ، فَلا يَزَالُ قلبه أبيض ، وتنقيته بالتوبة والأذكار ، والندم والاستغفار .. كذلِكَ أنتَ في حضرةِ اللهِ ، مُلَوَّثٌ بمعصيتِكَ ؛ تأكُلُ المحرَّمَ وتنظُرُ إلى المحرَّم ، فمَنْ يفعَل المخالفاتِ والشَّهواتِ يُظْلِمُ قلبه ، فإن لم تتب في وقتِ الصحة ربَّما ابتلاك بالأمراض والمِحَنِ ؛ حَتَّى تخرجَ نقياً مِنَ الذُّنوبِ كالثّوبِ إذا غُسِل ، فاصقل مرآة قلبكَ بالخَلوةِ والذِّكْرِ ؛ حتَّى تلقى الله تعالى ، ولْيَكُنْ قلبكَ ذاكراً موحداً فتنبع لك الأنوار ، ولا تَكُنْ كَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَحفِرَ بئراً ؛ فيحفرُ ذراعاً هنا وذراعاً هنا ؛ فلا ينبع لك ماءٌ أبداً ، بل احفِرْ في مكانٍ واحدٍ ، فينبعُ لك الماء ..

***

[دينك هو رأس مالك]

يا عبد الله ؛ دينكَ هوَ رأسُ مالِكَ ، فإنْ ضَيَّعْتَهُ ضَيَّعْتَ رأسَ مالك ؛ فاشْغَلْ لسانَكَ بِذِكْرِهِ ، وقلبَكَ بمحبَّتِهِ ، وجوارحَكَ بِخِدمَتِهِ واحرث وجودَكَ بالمخاوف حتَّى تجني البذر فيَنْبُت ، ومَنْ عَمِلَ في قلبِهِ كما يعمل الفلاح في أرضِهِ أنار قلبُهُ .. مثالك مثال رجُلَينِ : اشترَيَا أرضاً قياساً واحداً ، فأخذها الواحد فنقَّاها مِنَ الشَّوكِ والحشيش ، وأجرى بها الماءَ ، وبَذَرَهَا فنبَتَتْ ، وَجَنَى منها وانتفع بها ؛ فهذا كمَنْ نشأ في الطَّاعة ، قد أشرقَتْ أنوار قلبهِ ، وأمَّا الآخَرُ فإنَّه أهملَهَا حَتَّى نبت فيها الشَّوك والحشيش ، وبقيت مأوى للأفاعي والحيات ؛ فهذا قَدْ أَظْلَمَ قلبُهُ بالمعاصي ..

***

[مرض أربعين سنة لا يشفى بساعة]

إذا حضرت المجلس وخرجت إلى المخالفات والغفلات فإيَّاكَ أنْ تقول : ماذا يُفيدُ حُضُورِي ؟ بل احضرْ ، أيكون بك مرضٌ أربعين سنة وتُريدُ أنْ يزول عنكَ في ساعة واحدة ، أو في يوم واحد ؟! فمثالُكَ : كزبل رُمِيَ في موضع أربعين سنة ؛ أفتريدُ أنْ يَزُولَ في ساعة واحدة أو في يوم واحدٍ ؟!! فمَنْ فَعَلَ المعاصي وتقلَّبَ في الحرام لوِ انغمس في سبعة أبحُرٍ لم تُطَهّرْهُ حتَّى يَعقِدَ مَعَ اللهِ تعالى عقْدَ التوبة .. للظَّاهِرِ جنابةٌ تمنعُكَ مِنْ دُخول بيته وتلاوة كتابه ، وللباطن جنابةٌ تمنعُكَ مِنْ دخول حضرتِه وفهم كلامه ؛ وهي الغفلة ، فإذا طلبَتِ النَّفْسُ الشَّهواتِ فالجمها بلجام الشَّرْع ؛ فمثالها : كالدَّابَّةِ إذا مالَتْ لزرْع غيرِكَ ؛ فغُضَّ الأبصارَ عن ميلها إلى المستحسناتِ ، والقلوبَ عَنْ ميلها إلى الشَّهواتِ ؛ فليكُنْ قلبُكَ معموراً على الدوام ، والحق سبحانه وتعالى اختار لحضرتِهِ مَنْ يَصلُحُ لَهَا ، ومَنْ لا يَصلُحُ لها رماه للكائنات ، فمثالهُمْ كالعَبيدِ يُعرضون على الملِكِ ؛ فمَنْ أخذَهُ الملِكُ عَزَّ ، ومَنْ لا يَصلحُ بقي للرَّعيَّة .. ما أتيت لموطن حكمة أو معصية إلا وفي عُنقك سلسلة نورانية أو ظُلمانيةٌ ؛ فإن كنتَ لا تشهدُهَا أنتَ فغيرُكَ يشهدُهَا ، ألا تَرَى أَنَّ الشَّمْسَ يَشْهِدُهَا النَّاسُ أَجمعونَ إِلا مَنْ كَانَ أعمى ؟!!

***

[فائدة العلم العمل]

ما فائدةُ العِلم إلا العمل بهِ ؛ مثالُهُ : كملِكٍ كتب إلى نائبِهِ بثغر كتاباً ؛ فما فائدة الكتابِ أنْ يقرأَهُ فقط ؛ إنَّما فائدته : العمل بما فيه .. مثالُ مَنْ يَشتغِلُ بالعِلم وليسَ لهُ بصيرة كمثل مئة ألفِ أعمى سلكوا طريقاً مُتحيّرين فيها ، فلو كان فيهم واحد بعين واحدة لتبعَهُ النَّاسُ أجمعون ، وتركُوا مئة ألف أعمى .. ومثالُ العِلمِ معَ تركِ العمل كالشَّمعةِ تُضيء للنَّاسِ بإحراق نفسها .. عِلم فيهِ الغفلةُ عَن الله الجهل خيرٌ منه ، فمَنْ أثمرَتْ جوارحُهُ فَقَدْ أمطرَ قلبُهُ لسانَهُ بالذكر ، وعينيه بالغَضّ ، وأُذُنيه بالاستماع إلى العِلمِ ، ويديه ورجليه بالسَّعي إلى الخيرات ..

***

[مجالسة أهل الزمان تعرض لمعصية الدَّيَّان]

مَنْ أكثرَ مِنْ مُجالسةِ أهل هذا الزَّمان فقد تعرَّضَ لمعصية الله تعالى ، مثاله : كمَنْ جعل الحطب اليابس في النَّارِ ، ويُريدُ ألا يتَّقِدَ . فقَدْ أَرادَ مُحالاً ؛ لأنَّه قد ورَدَ : (خُص بالبلاءِ مَنْ عَرَفَ النَّاسَ ، وعاشَ فيهِمْ مَنْ لم يَعرِفُهُم) ؛ فرُبَّما جالسْتَ غيرَ مُتَّقٍ ، وكنتَ أنتَ مُتَّقِياً فجَرَّكَ إلى الغيبة ، وقهركَ في نفسِكَ ..

***

[أسباب خراب القلوب]

ما خرَّبَ القلوبَ إلا قلَّةُ الخوفِ ، القلبُ الحَسَنُ هوَ الَّذِي لا يَشغله عَنِ اللَّهِ حَسَنٌ ، إن أردتَ شفاء قلبك فاخرج إلى صحراء التَّوبة وحَوِّلْ حَالَكَ مِنَ الغَيبة إلى الحضورِ ، والبَسْ ثِيَابَ الذِّلَّةِ والمسكنةِ ؛ فَإِنَّ القلب يُشفى ، ولكنك تحشُو بطنك وتتفاخَرُ بالسِّمَنِ ، فمثالُكَ كالخروفِ الَّذي يُسمَّنُ للذَّبح ، ألا فَقَدْ ذَبَحْتَ نفْسَكَ وأنتَ لا تشعُرُ .. لا يفُتْكَ مجلس الحكمة ولو كنتَ على معصية فتقول : ما الفائدة في سماع المجلس ، ولا أقدِرُ على تركِ المعصية ؟ بل على الرامي أن يرمي فإن لم يأخُذِ اليوم يأخُذ غداً .. لو كنتَ كيساً فَطِناً لكانَتْ حقوقُ اللهِ عندَكَ أحظى

من حظوظ نفسكِ .. ما يَطَّلع على الأسرارِ إلا أمين ، وأنتَ تُعطِي نفْسَكَ حَظَّهَا مِنَ المَآكل والمشارب حتَّى تملأ بيت الخلاء ، ويكفيكَ حبُّ الدُّنيا ، ومَنْ أحبَّ الدُّنيا فقد خانَ ، ومَنْ خَانَ فهلْ يُطلِعُهُ الملِكُ على أسراره ، فاستعمل الأفكارِ ، وعليهِ إنزالُ الأنوار ..

***

[نفع القلب وإشراقه من بحر الحكم]

ما نَفَعَ القلبَ شيءٌ مثلُ خَلْوةٍ يَدخُلُ بها ميدان فكرة .. كيف يُشرِقُ قلبٌ صورُ الأكوانِ منطبعةٌ في مِرْآته ، أم كيف يرحل إلى اللهِ وهوَ مُكبّلٌ بشهواتِهِ ، أم كيفَ يَطْمَعُ أنْ يَدخُلَ حضرةَ اللهِ تعالى وهو لم يتطهَّرْ مِنْ جنابةِ غفلاتِهِ ، أم كيفَ يَرجو أنْ يَفهَمَ دقائق الأسرارِ وهو لم يَتُبْ مِنْ هفواتِهِ ؟.. أصلُ كل معصيةٍ وغفلةٍ وشهوةٍ : الرّضا عَنِ النَّفْسِ ، وأصلُ كل طاعةٍ ويقظةٍ وعفّةٍ : عدم الرضا عنها .. لا ترحل مِنْ كونٍ إلى كونٍ فتكون كحمار الرَّحى ، يسيرُ والذي ارتحل إليهِ هُوَ الَّذي ارتحل منه ، ولكن ارحَلْ مِنَ الأكوان إلى المكوّنِ : ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى ﴾ [النجم : ٤٢] ..

***

[الأنوار مطايا القلوب]

إنَّما الأنوار مطايا القُلوبِ والأسرار .. النُّورُ جند القلب كما أنَّ الظُّلمة جندُ النَّفْسِ ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنصُرَ عبده أمدَّهُ بجنود الأنوارِ ، وقطَعَ عنه مددَ الظُّلَمِ والأغيار .. النُّورُ له الكشفُ ، والبصيرةُ لها الحكم ، والقلبُ له الإقبالُ والإدبار .. الأكوانُ ظاهرُهَا غِرَّةٌ ، وباطنُها عِبرةٌ ؛ فالنَّفْسُ تنظرُ إلى ظاهر غرَّتِها ، والقلب ينظرُ إلى باطن عبرتها .. متى أو حشَكَ مِنْ خلقِهِ فاعلَمْ : أنَّه يُريدُ أن يفتح لك بابَ الأُنسِ ..

***

[من ثمرات الصلاة]

الصَّلاةُ محل المناجاة ، ومعدن المصافاة ، يتَّسِعُ فيها ميدان الأسرارِ ، وتُشرِقُ فيها شوارقُ الأنوار ، علِمَ وجودُ الضَّعَفِ منكَ فقَلَّلَ أعدادَهَا ، وعلِمَ احتياجَكَ إلى فضْلِهِ فكثَرَ أمدادَهَا .. النَّاسُ يَمدحونَكَ بما يَظُنُّونَ فيكَ ، فكُنْ أنتَ ذاماً لنفسك لما تعلم منها ؛ فإنَّ أجهلَ النَّاسِ مَنْ تركَ يقينَ ما عندَهُ لظنِّ ما عندَ النَّاسِ .. غَيّبْ نظر الخلقِ إليكَ بنظرِ اللهِ إليكَ ، وغِبْ عن إقبالهم عليك بشهودِ إقباله عليك .. اعلَمْ : أَنَّ العِبادَ يَتشوَّفونَ إلى ظهور سرّ العناية ، فقال تعالى : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ١٠٥] ، وعلم أنَّه لو خلاهم وذلكَ لتركوا العمل اعتماداً على الأزلِ ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] .. إن أردتَ ورود المواهب عليك فصحح الفقر والفاقة لديك : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَكِينِ ﴾ [التوبة : ٦٠] .. أنوارٌ أُذِنَ لها في الدخول ، وأنوار أُذِنَ لها في الوصول .. ربَّما وردت عليكَ الأنوارُ ، فوجدَتِ القلب محشوّاً بصور الآثار فارتحلَتْ مِنْ حيثُ نزلَتْ .. فرّغ قلبَكَ مِنَ الأغيار يملأه بالمعارف والأسرار .. المؤمنُ يشغلُهُ الثَّناءُ على الله عنْ أنْ يكونَ لنفسه شاكراً ، وتشغَلُهُ حقوق الله عنْ أنْ يكونَ لحظوظه ذاكراً .. جعلكَ اللهُ في العالم الأوسط بينَ مُلكهِ ومَلكوتِهِ ؛ ليُعلمَكَ جلالةَ قدْرِكَ بين مخلوقاتِهِ ، وأنَّكَ جوهرة انطوَتْ عليها أصداف مكنوناته .. أنتَ معَ الأكوانِ ما لم تشهَدِ المكوّنَ ، فإذا شهدته كانَتِ الأكوان معك ..

***

[صفة العاقل وسيره إلى الحضرة القدسية]

العاقل بما هو أبقى أفرح منه بما هوَ يفنى ، قد أشرق نورُه ، وظهرَتْ تباشيره ، فصدَفَ عن هذهِ الدَّارِ مُولياً ، وأعرض عنها مُغضباً ، فلم يتخذها وطناً ، ولا جعلَهَا سَكَناً ، بل أنهضَ الهمة فيها إلى الله تعالى ، وسار إليه مُستعيناً بهِ في القدوم عليه ، فما زالَتْ مطية عزمِهِ لا يَقرُّ قرارُها ، دائماً تسيارُها ، إلى أنْ أناخَتْ بحضرة القُدس ، وبساطِ الأنس ؛ محلّ المفاتحة والمواجهة ، والمجالسة والمحادثة ، والمشاهدة والملاطفة ؛ فصارَتِ الحضرة معشش قلوبهم ، إليها يأوون ، وفيها يستوطنون ، فإن نزلوا إلى

سماء الحقوقِ أو أرض الحظوظ فبالإذنِ والتَّمكين ، والرسوخ في اليقين ، فلم ينزلوا إلى الحقوقِ بسوء الأدب والغفلة ، ولا إلى الحظوظ بالشَّهوة والمتعةِ ، بل دخلوا في ذلك كله بالله ، ولله ، ومِنَ اللهِ ، وإلى الله ..

***

[إن الله يدافع عمَّن يحب]

فإِيَّاكَ يا أخي أنْ تُصغِيَ إلى الواقعينَ في هذهِ الطَّائفة ؛ لئلا تسقطَ مِنْ عين اللهِ ، وتستوجب المقتَ مِنَ اللهِ ؛ فإنَّ هؤلاء القومَ جلسُوا مَعَ اللَّهِ على حقيقةِ الصدقِ ، وإخلاصٍ مِنَ الوفاء ، ومراقبة الأنفاس مع الله ، قد سلَّمُوا قِيادَهُم إليه ، وألقوا أنفسَهُم سِلماً بين يديه ، وتركوا الانتصار لأنفسهم حياءً مِنْ ربِّهم ، فكانَ هوَ المحارِبَ عنهم لِمَنْ حارَبَهُم ، والغالبَ لِمَنْ غالبهم ، ولقد ابتلى الله هذهِ الطَّائفة بالخلقِ خُصوصاً ، ولا سيما أهل العلم ، فقَلَّ أنْ تَجِدَ منهُم مَنْ شَرَحَ اللهُ صدرَهُ للتصديق بوليّ معين ، بل يقول لكَ : نعم ؛ إنَّ الأولياء موجودون ولكن أينَ هُمْ ؟! فلا يُذكَرُ لَهُ أحدٌ إلا وأخذ يدفع خصوصيةَ اللهِ فيهِ ، طلْقَ اللَّسانِ بالاحتجاج ، عارياً عن التصديق ، فاحذَرْ مَنْ هذا وصفه ، وفِرَّ منهُ فرارَكَ مِنَ الأسدِ .. قالَ الشَّيخُ أبو الحسنِ الشَّاذلي رضيَ اللهُ عنهُ : (ليس الفقيهُ مَنْ فَقَأَ الحجاب عيني قلبه ، وإنَّما الفقيه مَنْ فَهِمَ سِرَّ الإيجادِ ، وأنَّه ما أوجده إلا لطاعتِه ، ولا خلقَهُ إلا لخدمتِهِ ، فإذَا فهِمَ هذا : كان هذا الفقه منه سبباً لزهده في الدُّنيا وإقباله على الآخرة ، وإهماله لحظوظ نفسه ، واشتغاله بحقوقِ سيّدِهِ ، مفكّراً في المعاد ، قائماً بالاستعداد ..

***

[من المؤمن القوي ؟]

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « المؤمنُ القوي خيرُ عندَ اللهِ مِنَ المؤمن الضعيف ، وفي كلٍّ خيرٌ » ، والمؤمن القويُّ : هوَ الَّذي أشرقَ في قلبه نور اليقين ؛ قال الله تعالى :
﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾

[الواقعة : ١٠ - ١٢] ، سَبقُوا إلى الله فخلَّص قلوبَهُمْ ممَّا سِواهُ ، فلم تعقهُمُ العوائق ، ولم تشغلهُمْ عن الله العلائق ، فَسَبقُوا إلى الله ؛ إذ لا مانع لهُم ..

***

[القلب السليم]

وإِنَّما مَنَعَ العبادَ مِنَ السَّبْقِ جواذبُ التَّعَلُّقِ بغير الله تعالى ، فكلَّما همَّتْ قلوبُهُمْ أن ترحل إلى اللهِ تعالى جَذَبَها ذلكَ التَّعلُّقُ الَّذِي بِهِ تعلَّقَتْ ، فكرَّتْ راجعة إليهِ ومقبلة عليهِ ، فالحضرة محرَّمَةٌ على مَنْ هذا وصفه ، وممنوعةٌ على مَنْ هذا نعتُه ، وافهم ههنا قوله تعالى : ﴿ يوم لا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٨ - ٨٩] .. والقلبُ السَّليم : هوَ الَّذي لا تعلَّقَ لَهُ بِشيءٍ غيرِ اللهِ تعالى ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَا خَوَلْناكُمْ وَرَاءَ ظَهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام : ٩٤] يُفهم منه أنَّه لا يصلحُ مجيئكَ إِلى اللهِ ولا الوصول إليه إلا إذا كنتَ فرداً ممَّا سِواهُ ، وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ [الضحى : ٦] يُفهم منه أنَّه لا يُؤويك إلا إذا صحَّ يُتْمُكَ مِمَّا سِواهُ ..

***

[الله وِترٌ يُحبُّ الوتر]

وقوله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « إِنَّ اللهَ وترٌ يُحِبُّ الوتر » أي : يحبُّ القلبَ الَّذي لا يشفع بمثنياتِ الآثار ، فكانَتْ هذه القلوبُ اللهِ وبالله ، فهم أهل الحضرة المخاطبون بعين المنّة ، فكيف يمكنُهُمْ أنْ يكونوا لسِواهُ مُستندينَ ؛ وهُمْ لوجودِ الأحديَّةِ مشاهِدونَ ؟.. قالَ الشَّيخُ أبو الحسنِ الشَّاذلي رضي الله عنه : (قَوِيَ عليَّ الشُّهودُ مرَّةً ، فسألتُهُ أن يستر عليَّ ذلكَ ، فقيل لي : لو سألته بما سأله موسى كليمه ، وعيسى روحُهُ ، ومحمَّدٌ حبيبه وصفيه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم لم يفعل ، ولكنْ سَلْهُ أنْ يُقويَكَ ، فسألْتُهُ فقَوَّاني) .. فأهلُ الفهم عنِ اللهِ توكَّلوا عليهِ ، فَكانَ بمعونَتِهِ لَهُمْ ، فكفاهُمْ ما أهمَّهِمْ ، وصَرَفَ عنهُمْ ما أَغمَّهُمْ ،

واشتغلوا بما أمرَهُمْ عَمَّا ضَمِنَ لهُمْ ؛ علماً منهم بأنَّه إلى غيرِهِ لا يَكِلُهم ، ومِنْ فضلِهِ لا يَمنعُهُم ، فدخلوا في الراحةِ ، ووقَفُوا في جنَّةِ التسليم ، ولذاذةِ النَّعيم ، فرفَعَ لَهُمْ بذلك مقدارَهُم ، وكمَّل أنوارَهُمْ ..

***

[العلم النافع هو المراد في الكتاب والسنة]

واعلَمْ - رحمَكَ اللهُ تعالى - : أنَّ العِلمَ حيثما تكرر في الكتاب العزيز أو في السُّنَّةِ إنَّما المراد بهِ العلمُ النَّافِعُ ؛ الَّذِي تُقارِنُهُ الخَشِيةُ مِنَ اللهِ تعالى ، وتَكتَنِفُهُ المخافةُ ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العلموا ﴾ [فاطر : ٢٨] ، فبيَّنَ أنَّ الخشية تُلازم العِلم ؛ فالعلماءُ هُمْ أَهلُ الخشية ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ ﴾ [الإسراء : ١٠٧] ، وقوله : ﴿ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [النساء : ١٦٢] ، وقوله : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] ، وقوله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « العلماء ورثة الأنبياء » ، إنَّما المراد بالعلم في هذهِ المواطن كلّها : العلمُ النَّافِعُ ، القاهرُ للهَوَى ، القامع للنَّفس ؛ وذلكَ مُتعيّنُ بالضَّرورة ، لأنَّ كلام الله تعالى وكلام رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أَجلُّ مِنْ أَنْ يُحْمَلَ على غيرِ هذا .. والعلمُ النَّافِعُ : هوَ الَّذي يُستعانُ بهِ على الطَّاعَةِ ، ويلزم الخشية مِنَ الله تعالى ، والوقوف على حدودِ اللهِ تعالى ؛ وهوَ عِلْمُ المعرفة بالله تعالى .. ولكِنْ مَنِ استرسلَ بإطلاقِ التَّوحيدِ ، ولم يتقيَّد بظواهرِ الشَّريعةِ فقَدْ قُذفَ به في بحرِ الزَّندقةِ ، ولكِنَّ الشَّأنَ أنْ يكونَ بالحقيقةِ مُؤيداً ، وبالشريعة مُقيداً .

***

[مقام الهداية]

وكذلك المحقق ؛ فلا يكون منطلقاً مع الحقيقة ، ولا واقفاً مع ظاهرِ إسنادِ الشَّريعة ، وكانَ بينَ ذلكَ قواماً ؛ فالوقوفُ مع ظاهرِ الإسناد شرك ، والانطلاق معَ الحقيقةِ مِن غير تقيد بالشَّريعة تعطيل ، ومقام الهداية فيما بين ذلك .. وكلُّ عِلم تسبق إليكَ فيهِ

الخواطرُ ، وتتبعها الصُّور ، وتميل إليه النَّفْسُ ، وتلتذ بها الطَّبيعةُ فالْزمِ به وإِنْ كانَ حقاً ، وخُذْ بعلمِ اللهِ الذي أنزلَهُ على رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ، واقتد به وبالخلفاء مِنْ بعدِهِ ، وبالصَّحابة والتابعينَ مِنْ بعدِهِمْ ، وبالهُداة إلى الله تعالى الأئمة المبرئينَ مِنَ الهَوَى ومُتابَعَتِهِمْ : تسلم مِنَ الشُّكوكِ والظنونِ ، والأوهام والوساوس ، والدَّعاوى الكاذبة المضلَّةِ عَن الهُدى وحقائقِهِ .. وحسبُكَ مِنَ العلمِ النَّافِعِ العلم بالوحدانية ، ومِنَ العمل محبَّةُ اللهِ ، ومحبة رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ، ومحبَّةُ الصَّحابة ، واعتقاد الحقِّ للجماعة ..

***

[دع الخلق والزم باب الخالق]

وإن أردت أن يكونَ لكَ نصيبٌ ممَّا لأولياء الله تعالى فعليك برفض النَّاسِ جملةً إِلا مَنْ يدلُكَ على الله تعالى ؛ إما بإشارة صادقة ؛ أو بأعمال ثابتة لا ينقضُهَا كتابٌ ولا سُنَّةٌ ، فَارفَعْ همَّتَكَ إلى مولاك ، واشتغِلْ بهِ دُونَ غيرِهِ ؛ فقَدْ سمعْتُ الشَّيخَ أبا العباس المرسي يقول : (والله ؛ ما رأيتُ العِزَّ إِلَّا في رفع الهمَّةِ عَنِ الخلقِ) .. واذكر - رحمَكَ الله - ههنا قولَهُ تعالى : وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ [المنافقون : ٨] ؛ فمِنَ العزّ الذي أعزّ اللَّهُ بِهِ المُؤمِنَ رفعُ هَمَّتِهِ إلى مولاه ، وثقتُهُ بِهِ دونَ ما سواه ..

***

[الحوائج لا تُرفع إلا إليه]

واسْتَحِ مِنَ اللهِ بعدَ أنْ يكون قد كساكَ حُلَّةَ الإيمانِ ، وزَيَّنَكَ بزينة العِرْفانِ أن تستولي عليك الغفلة والنسيانُ ، حتّى تميل إلى الأكوان ، أو تطلب مِنْ غيرِه وجود الإحسان !!.. وقبيحٌ بالمؤمن أنْ يُنزِلَ حاجتَهُ بغيرِ مَولاهُ ، مع علمه بوحدانيَّتِهِ وانفراده بربوبيته ، وهوَ يسمعُ قولَهُ تعالى : أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَه [الزمر : ٣٦] ، وليذكر قولَهُ تعالى : يَأَيُّهَا الَّذِينَ وَامَنُوا أَوْفُوا

بِالْعُقُودِ [المائدة : ١] ، ومِنَ العقودِ الَّتي عاقدتَهُ عليها ألا ترفع حوائجك إلا إليه ، ولا تتوكَّل إلا عليه ..

***

[ميزان للصادقين والكاذبين]

ورفع الهمَّةِ عَنِ الخَلْقِ هو ميزانُ الفقراء : وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ [الرحمن : ٩] ، فيظهرُ الصَّادقُ بصِدقِهِ ، والمدَّعِي بكذِبِهِ . وقد ابتلى الله بحِكمَتِهِ ووجودِ مِنّته الفقراء الذين ليسوا بصادقينَ ؛ بإظهارِ ما كَمَنوهُ مِنَ الرَّغبةِ ، وأسرُّوهُ مِنَ الشَّهوة ، فابتذلُوا أنفسَهُم لأبناءِ الدُّنيا ، مُباسِطِينَ لَهُمْ ، مُوافقينَ لهُمْ على مآربِهِمْ ، مَدفوعينَ عَنْ أبوابهم ، فتَرَى الواحِدَ منهُمْ يتزيَّنُ كما تتزيَّنُ العَروسُ ، معتنون بإصلاح ظواهرِهِمْ ، غافلونَ عَنْ إِصلاح سرائرِهِمْ .. ولَقَدْ وَسَمَهُمُ الحقُّ وَسمةً كشَفَ بها عوراتهم ، وأظهر أخبارَهُمْ ، فبعد أن كانَتْ نِسبتُهُمْ معَ اللهِ أنْ لو صَدَقَ مَعَ اللهِ أَنْ يُقالَ له : عبد الكبير ، فأُخرِجَ عَنْ هذهِ النَّسبةِ ، فصارَ يُقالُ لَهُ : عبد شيخ الأمير .. أولئك الكاذبون على الله تعالى ، الصَّادُّونَ العِبادَ عَنْ صُحبة أولياء الله ؛ لأنَّ ما يشهده العوام منهُمْ يَحملُونَهُ على كلِّ مُنتسب إلى اللهِ ؛ صادقٍ وغير صادقٍ ، فهُمْ حُجُبُ أهلِ التَّحقيقِ ، وسُحُبُ شمس أهل التوفيق ، ضربوا طُبولَهم ، ونشرُوا أعلامَهُم ، ولبِسُوا دُروعَهُم ، فإذا وقعت الحملة ولَّوا على أعقابهم ناكِصينَ ، ألسنتهُمْ مُنطلقة بالدعوى ، وقلوبهم خاليةٌ مِنَ التَّقوى !!.. أَلَمْ يَسْمَعُوا قوله سبحانه وتعالى :
 لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ [الأحزاب : ٨] ، أترى إذا سألَ الصَّادقين : أيترُكُ المدَّعينَ مِنْ غيرِ سؤالٍ ؟!.. ألم يسمعوا قولَهُ تعالى : وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [التوبة : ١٠٥] ؛ فهُمْ في إظهارِ زِيِّ الصَّادِقِينَ ، وعملُهُمْ عمل المعرضين !!..

***

[باب الرّزق طاعة الرازق]

قالَ اللهُ تعالى : وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا [البقرة : ١٨٩] ، فاعلَمْ : أنَّ بابَ الرِّزْقِ طاعةُ الرَّازِقِ ؛ فكيفَ يُطلَبُ منه بمعصيتِهِ ، أم كيف يُستمطَرُ فضلُهُ بمُخالفتِهِ ؟! وقد قالَ عليه أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلام : « لا يُنالُ ما عند الله بسخطِهِ » أي : لا يُطلَبُ رِزْقُهُ إلا برِضَاهُ ، وقد قالَ تعالى مُبيناً لذلك : وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يحتسب [الطلاق : ٢-٣] .. ولهذا المعنى قالَ الشَّيخُ أبو العباس رضيَ اللهُ عنهُ في (حِزْبِهِ) لمَّا قالَ : (وأعطِنَا كَذَا وَكَذَا) قالَ : (والرِّزْقُ الهنيُّ الذي لا حِجَابَ بهِ في الدُّنيا ، ولا حساب ولا سؤال ولا عِتابَ عليه في الآخرة ؛ على بِسَاطِ علمِ التَّوحيدِ والشَّرع ، سالمينَ مِنَ الهَوَى والشَّهوةِ والطَّمع)..

***

[لا تكن مُدَبّراً مع الله تعالى]

واحذَرْ مِنَ التَّدبيرِ مَعَ اللهِ تعالى ، فمثال المدبَّرِ مَعَ اللهِ كعبدٍ أرسلَهُ السَّيدُ إلى بلد ليصنعَ لَهُ ثِياباً ، فدخلَ العبدُ تلك البلد ، فقال : أينَ أسكنُ ؟ ومَنْ أتزوَّجُ ؟ ؛ فاشتغل بذلك ، وصرفَ هِمَّتَهُ لمَا هُنالِكَ ، وعَطَّلَ مَا أَمَرَهُ السَّيدُ بِهِ حتَّى دعاه إليه ، فجزاؤُهُ مِنَ السَّيدِ إن جازاه القطيعة ووُجود الحجبة ؛ لاشتغاله بأمر نفسِهِ عَنْ حَقِّ سَيْدِهِ .. كذلِكَ أنتَ أيُّها المؤمنُ : أخرجَكَ الحقُّ إلى هذهِ الدَّارِ ، وأَمَرَكَ فيها بخدمته ، وقامَ لكَ بوجودِ التَّدبيرِ مِنَّةً منْهُ لكَ ؛ فإن اشتغلت بتدبير نفسك عَنْ حقِّ سَيِّدِكَ فَقَدْ عدلتَ عَنْ سَبِيلِ الهُدى ، وسلكت مسالك الرَّدى .. ومثال المدبّر معَ اللهِ والَّذي لا يُدبَّرُ : كعبدين للمَلِكِ ؛ أما أحدهما فمشتغلٌ بأوامر سيدهِ لا يلتفتُ إلى مَلبسٍ ولا مأكل ، بل إنَّما هِمَّتُهُ خدمة السَّيدِ ، فأشغلَهُ ذلك عنِ التَّعرُّضِ لحظوظ نفسِهِ ، وأمَّا العبدُ الآخَرُ فكيفما طلبَهُ سَيِّدُهُ وجده يغسِلُ ثيابه ، وفي سياسة مركوبه ، وتحسين زيَّهِ ؛ فالعبدُ الأوَّلُ أولى بإقبالِ سَيِّدِهِ مِنَ العَبدِ الثاني ، والعبد إنَّما اشتُريَ للسيد لا لنفسه ..

***

[العبد الموفّق مشتغل بحقوق الله]

كذلك العبد البصير الموفّقُ لا تراه إلا مشغولاً بحقوقِ اللهِ ، وامتثال أوامره عن محاب نفسِهِ ومهماتها .. فلما كان كذلك قامَ لهُ الحقُّ سُبحانَهُ بكل أمرِهِ ، وتوجَّهَ له بجزيل عطائه ؛ لصدقه في توكُّلِهِ ؛ لقولِهِ تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حسبه ﴾ [الطلاق : ٣] .. والغافل ليس كذلك ، لا تجده إلا في تحصيل دنياه ، وفي الأشياء التي توصله إلى هواه ..

***

[مثال العبد مع الله]

ومثال العبدِ معَ اللهِ في هذهِ الدَّارِ كالطِّفلِ معَ أمه ، ولم تكن الأم لتدع تدبير ولدِهَا مِنْ كفالتِهَا ، ولا تُخرجَهُ مِنْ رِعايَتِها ، كذلك المؤمنُ معَ اللهِ ، قائم لهُ بحُسن الكفالة ، فهو سائق إليه المنن ، ودافع عنه المحن .. ومثال العبد في الدُّنيا كمثل عبد قالَ لَهُ السَّيدُ : اذْهَبْ إِلى أَرضٍ كَذَا وكذا ، وأَحْكِمْ أَمرَكَ ؛ لأن تُسافر منها في برِّيةِ كذا وكذا ، وخُذْ أُهَبَتَكَ وعدَّتك .. فإِذَا أَذِنَ لَهُ السَّيدُ في ذلكَ ؛ فمعلوم : أنَّه قد أباحَ له أن يأكل ما يستعينُ بهِ على إقامةِ بِنْيَتِهِ ؛ ليَسْعَى في طلب العدَّة ، وليقوم بوُجودِ الأهبة .. كذلك العبد معَ اللهِ أوجدَه في هذهِ الدَّارِ ، وأمرَهُ أَنْ يتزوَّدَ مِنهَا لمعادِهِ ؛ فقال تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [البقرة : ١٩٧] ، فمعلوم أنَّه إذا أمرَهُ بالزَّادِ للآخرةِ فقَدْ أَباحَ لَهُ أَنْ يأخذ مِنَ الدُّنيا ما يستعينُ بهِ على تزودِهِ إلى الآخرة ، واستعدادِهِ وتأهبه لمعادِهِ ..

***

[كيف يكون العبد مع الله ؟]

ومثال العبدِ معَ اللهِ كمثل أجير أتى بهِ مَلِكٌ إلى دارِهِ ، وأمرَهُ أَنْ يعمل له عملاً ، فما كانَ الملك ليأتي بالأجير ويستخدِمَهُ في دارِهِ ويتركه مِنْ غيرِ تغذية ؛ إذْ هو أكرمُ مِن ذلك ؛ فكذلك العبد معَ اللهِ ؛ فالدُّنيا دار الله ، والأجير هو أنتَ ، والعمل هوَ الطَّاعةُ ، والأجرة هى الجنَّةُ ، ولم يكن الله ليأمرَكَ بالعمل ، ولا يسوقُ لك ما به تستعين عليه !.. ومثال العبدِ معَ اللهِ تعالى كمثل عبدٍ

أمرَهُ الملكُ أَنْ يقيم في أرضِ كذا ، يحارب فيها العدوّ ويُجاهدُهُ فيها ، فمعلوم أنَّه إذا أمره بذلك ؛ أن يُبيحَ لهُ أنْ يأكل مِنْ مخازن تلكَ الأرض بالأمانة ؛ ليستعين به على محاربة العدو .. وكذلك العباد ؛ أمرهُمُ الحقُّ سُبحانَهُ بمحاربة الشَّيطان ، ومجاهدة النفوس بقوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُواْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾ [الحج : ٧٨] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوا ﴾ [فاطر : ٦] ، فلما أمر العبد بمحاربتِهِ أذِنَ لَهُ أنْ يَتَناولَ مِنْ مَنبتِهِ ما يَستعينُ بهِ على محاربة الشَّيْطانِ ؛ إذ لو تركت المأكل والمشرب لم يمكنك أن تقوم بطاعتِهِ ، ولا أن تنهض لخدمته .. ومثال العبدِ معَ اللهِ كمثلِ ملكٍ لهُ عَبيدٌ بنى داراً وبـهّجها وحسَّنَها وتولَّى غِراسها ، وكمّل المشتهيات فيها ، في غير المواطن الذي همُ العبيد فيه ، وهوَ يريد أن ينقلَهُمْ إليها .. أترَى إذا كانَتْ هذهِ عِنايتُهُ بهِمْ فيما ادَّخر لهُمْ عِندَهُ وهَيَّأهُ لَهُمْ بعد الرحلة ؛ أيمنعُهُمْ ههنا أنْ يتناولوا مِن منّتِه وفضلاتِ طعامِهِ ؛ وهوَ قدْ هيَّأ لهم الأمر العظيم ، والفضل الجسيم ؟!.. كذلك العباد مع الله تعالى جعلهم في الدُّنيا ، وهيَّأ لهم الجنَّةَ ، فلا يريدُ أن يَمنعَهُم مِنَ الدُّنيا ، ولكن ما يُقيمُ بهِ وُجودَهُم ، فقال تعالى : ﴿ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَتِ وَاعْمَلُواْ صَلِحًا ﴾ [المؤمنون : ٥١] ، وقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة : ١٧٢] ، وإِذَا ادَّخَرَ لكَ الباقي ومَنَّ عليكَ به لا يَمنعُكَ الفاني ؛ فَإِنَّما يَمنعُكَ ما لم يقسمه لكَ ، وما لم يقسمه لك .. فليس لك !!

***

[المهموم بأمر الدُّنيا غافل أحمق]

ومثال المهموم بأمرِ دنياه ، الغافلِ عَنِ التَّزودِ لأخراه كمثل إنسانٍ جاءَهُ سَبُعٌ وهوَ يُريدُ أنْ يَفترسه ، ووقع عليهِ ذُبَابٌ ، فاشتغل بذبّ الذُّبابِ ودَفْعِهِ عَنِ التَّحرُّزِ مِنَ السَّبع ؛ فهذا عبدٌ أحمقُ ، فاقدٌ وجود العقل ، ولو كانَ متّصفاً بالعقل لشغلَهُ أمرُ الأسدِ وصولتُهُ وهجومه عليهِ عَنِ الفكرة الذُّباب .. كذلك المهتم بأمر دُنياهُ عَن التَّزودِ للآخرةِ ، دل ذلك منه على وجودِ في حمقه ؛ إذْ لو كانَ فَهِماً عاقلاً لتأهَّبَ للدار الآخرة التي هوَ مسؤولٌ عنها ، وموقوفٌ فيها ، فلا يَشتغل بأمر الرِّزْقِ ؛ فإِنَّ

الاهتمام بهِ بالنسبة للآخرة نسبةُ الذُّباب إلى مُفاجاة الأسد وهجومه .. ومثال المدّخر بالأمانة كعبدِ الملكِ بالأمانة ، لا يرَى لَهُ مَعَ سَيِّدِهِ شيئاً ، ولا يعتمدُ على ادخار ما في يدِهِ ، ولا بذلِهِ منه إلا ما اختارَ السَّيِّدُ له ، فإذا فَهِمَ هذا العبدُ أنَّ الإمساك مرادُ السَّيِّدِ ؛ أمسك لسيده لا لنفسه ؛ حتَّى يتخيَّرَ موضع صرفِهِ ، فيكونَ لهُ صارفاً حتّى يفهَمَ عَنْ سَيِّدِهِ إرادةَ صرفه ، فهذا بإمساكِهِ غيرُ ملوم ؛ لأنَّه أمسكَ لسيدِهِ لا لنفسِهِ ..

***

[حال أهل المعرفة]

كذلك أهل المعرفةِ باللهِ إِنْ بذلُوا ففيه ، وإِنْ أمسكُوا فَلَهُ ؛ يبتغون ما فيه رضاه ، ولا يُريدون ببذلهم وإمساكِهِمْ إِلا إِيَّاه ؛ فهُمْ خُزَّانٌ أُمَناء ، وعبيدٌ كُبراء ، وأبرارٌ كُرماء ؛ قد حرَّرَهُمُ الحَقُّ مِنْ رِقّ الآثار فلم يميلوا إليها بحُبِّ ، ولم يُقبلوا عليها بودّ ، منَعَهُم مِنْ ذلكَ ما أسكنه في قلوبهمْ مِنْ حُبِّ اللهِ ووُدِّهِ ، وما امتلأت به صدورُهُمْ مِن عظمتِهِ ومجده ، فصارَتِ الأشياء في أيديهِمْ كهِيَ في خزائنِ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَصِلَ إليهم ؛ علماً منهم بأنَّ الله تعالى يَملكُهُمْ ويملك ما ملَّكَهُمْ ..

***

[التدبير وأقسامه]

بيان للمعتبرين ، وهدايةٌ للمُستبصرينَ ؛ وهوَ أَنَّ مَنْ خَرجَ عَنْ تدبيرِهِ لنفسِهِ كانَ اللهُ هوَ المتولّي بحُسنِ التَّدبير له .. والتدبير على قسمين : تدبير محمود ، وتدبير مذموم .. فالتدبير المذموم : هوَ كلُّ تدبير ينعطف على نفسك ؛ لوجودِ حظها ، ليسَ لله فيه شيءٌ ؛ كالتدبير في تحصيل معصية ، أو في حظٍّ لوجودِ غفلة ، أو طاعة لوجودِ رياء وسمعة ونحو ذلك ، فهذا كله مذموم ؛ لأنَّه إما موجب عقاباً ، وإما موجب حجاباً .. ومَنْ عَرَفَ نعمة العقل استحيَا مِنَ الله سبحانَهُ أَنْ يصرِفَ عقلَهُ إِلَى تدبير ما لا يُوصله إلى قُرْبِهِ ، ولا يكون سبباً لوجودِ حبه .. والعقل أفضلُ ما مَنَّ الله بِهِ على عبادِهِ ؛ لأنَّه سبحانَهُ خَلَقَ الموجوداتِ ،

وتفضَّلَ عليها بالإيجاد ، وبدوام الإمداد ، فاشتركتِ الموجوداتِ في إيجاده وإمدادِهِ ، فلما اشتركت : أرادَ الحق سبحانَهُ أنْ يميز الآدمي عنهُمْ ؛ فأعطاه العقلَ ، وأيَّدهُ بهِ ، وفضَّلَه بذلك على الحيوان ، وأكمل به نعمته على الإنسان .. وبالعقل ووُفورِهِ ، وإشراقِهِ ونُورِهِ تتم مصالحُ الدُّنيا والآخرة ؛ فصرفُ نعمة العقل إلى تدبيرِ الدُّنيا (التي لا قدر لها عندَ اللهِ تعالى) كفر لنعمة العقل .. وتوجهه إلى الاهتمام بإصلاح شأنه في مَعادِهِ ، قائماً بشُكرِ المحسن إليه ، والمفيضُ من نورِهِ عليهِ ؛ أحقُّ بهِ وأحرى ، وأفضل له وأولى ، فلا تصرف عقلَكَ الَّذي منَّ الله بهِ عليكَ في تدبيرِ الدُّنيا ، التي هي كما أخبر عنها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بقولِهِ : « الدنيا جيفة قذرة » .. وكما قالَ للضّحَاكِ : « ما طعامُكَ ؟ » قال : اللحم واللبنُ ، قال : « ثمَّ يَعودان إلى ماذا ؟ » ، « قالَ : إلى ما قَدْ َعلمْتَ يا رسولَ اللهِ !! ، قال : « فإنَّ الله قد جعل ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدُّنيا » .. والتدبير المحمود : هوَ ما كانَ إلى مَا كان تدبيراً إلى ما يُقرِّبُكَ إلى اللهِ سُبحانه وتعالى ؛ كالتَّدبير في براءةِ الذِّمَم مِنْ حُقوقِ المخلوقِينَ إمَّا وفاءً ، وإما استحلالاً ، وتصحيح التَّوبة إلى رب العالمين ، والفكرة فيما يؤدي إلى قمع الهوى المُردِي ، والشَّيطانِ المغوي .. فهذا كله محمود لا شك فيه ؛ ولذلك قالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « فكرةُ ساعةٍ خيرٌ مِنْ عِبادَةِ سَبعين سنةً » ..

***

[أقسام التدبير للدنيا]

والتدبير للدُّنيا على قسمين : تدبيرُ الدُّنيا للدُّنيا ، وتدبير الدُّنيا للآخرة .. فتدبير الدُّنيا للدُّنيا : هوَ أنْ يُدبِّرَ في أسباب جمعها افتخاراً بها واستكثاراً ، وكلَّما زِيدَ فيها شيء ازداد غفلةً واغتراراً ، فأمارة ذلكَ : أن تشغلَهُ عن الموافقة ، وتؤدِّيَهُ إلى المخالفة .. وتدبير الدُّنيا للآخرةِ : كَمَنْ يُدبِّرُ المتاجر ليأكُل منها حلالاً ، ولينعم بها على ذوي الفاقة إفضالاً ، وليصونَ بها نفسَهُ عن النَّاس إجمالاً ؛ فأمارة ذلكَ : عدم الاستكثار والادخار ، والإسعاف والإيثار .. فقَدْ تبيَّنَ مِنْ هذا أنَّهُ ليسَ كلُّ طالب للدُّنيا مذموماً ، بل المذموم

: مَنْ طلبها لنفسه لا لربَّه ، ولدنياهِ لا لآخرتِهِ ، فالنَّاس إِذَنْ على قسمين : عبدٌ طَلَبَ الدُّنيا للدُّنيا ، وعبد طلب الدُّنيا للآخرة .. وسمعت شيخنا أبا العباس المرسيَّ رضي الله عنه يقولُ : (العارفُ : لا دُنيا لَهُ ولا آخرة ؛ لأنَّ دُنياهُ لآخرته ، وآخرته لربه) ..

***

[حال الصحابة الكرام مع الدنيا]

وعلى هذا تُحمَلُ أحوالُ الصَّحابة رضي الله عنهم والسَّلفِ الصَّالح ؛ فكُلُّ ما دخلوا فيهِ مِنْ أسباب الدُّنيا فهُمْ بذلكَ إلى اللهِ مُتقرِّبونَ ، وإلى رضاه متسبّبون ، لا قاصدون بذلكَ الدُّنيا وزينتها ، ووجودَ لذَّاتِها ؛ ولهذا وصَفَهُمْ الحقُّ سُبحانَهُ بقوله تعالى : محَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَعَاً سُجّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا [الفتح : ٢٩] .. وماظَنُّكَ بقومٍ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ولمواجهة خطابه في تنزيلهِ (٣) ، فما أحدٌ مِنَ المؤمنين إلى يوم القيامة إلا وللصحابة في عنقِهِ مِنَنٌ لا تُحصَى ، وأيادٍ لا تُنسَى ؛ لأنَّهم هُمُ الَّذِينَ حملُوا إلينا عَنِ النَّبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم الحكم والأحكام ، وبيَّنوا الحلال من الحرام ، وفهموا الخاص والعام ، وفتحوا الأقاليم والبلاد ، وقهرُوا أَهلَ الشَّرك والعِنادِ .. ويحق قولُه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فيهِمْ : « أصحابي كالنُّجوم ؛ بأيهم اقتديتُم اهتديتُم » ، وقد وصفَهُمُ اللهُ في آية أخرى بأوصاف إلى أن قال : يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا [الحشر : ٨] ، دل ذلك من قوله سبحانه : أنَّهم ما ابتغَوْا بما حملوه من الدُّنيا ولم يقصدوا بذلك إلا وجه الله تعالى الكريم ، وفضله العظيم .. وقالَ سُبحانَهُ في آيةٍ أُخرى : فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ [النور : ٣٦ - ٣٧] ، ولم ينف عنهُمُ الأسباب ولا التجارة ولا البيع ولا الشراء ، فلا يُخرجُهُمْ عَنِ المِدْحةِ غِناهُمْ إذا قاموا بحقوق مَولاهُمْ .. قال عبد اللهِ بنُ عُتبةَ : كانَ لعثمان بن عفان رضيَ اللهُ عنهُ عِندَ خُزّانِهِ يومَ قُتِلَ زنة مئة ألف وخمس مئة دينار ، وألف ألف درهم ،

وترك ألف فرس ، وألف مملوك ، وخلَّف ضياعه ببئر أريس وخيبر ووادي القُرى ما قيمته مئتا ألف دينار .. وخلَّفَ عمرُو بنُ العاصِ ثلاث مئة ألف دينار ، وبلغ ثمن مالِ الزبير بن العوام رضيَ اللهُ عنهُ خمسين ألف دينار ، وترك ألف فرس وألف مملوك .. وغنى عبدِ الرَّحمن بن عوف رضيَ اللهُ عنهُ أشهرُ مِنْ أَنْ يُذكَرَ .. وكانَتِ الدُّنيا في أكُفّهمْ لا في قلوبهم ؛ صبَرُوا عنها حين فقدَتْ ؛ وشكرُوا الله حينَ وُجِدَتْ ، وإِنَّما ابتلاهُمُ الله سبحانه وتعالى بالفاقة في أوَّلِ أمرِهِم حَتَّى تكمَّلَتْ أنوارُهم ، وتطهَّرتْ أسرارهم ، فبذَلَها لَهُمْ حينئذ ؛ لأنَّهم لو أُعطُوهَا قبل ذلك لعلها كانَتْ تأخذُ منهُمْ ، فلمَّا أُعطوها بعد التمكينِ والرُّسوخ في اليقين تصرفوا فيها تصرُّفَ الخازن الأمين ، وامتثلوا فيها قولَ ربّ العالمين : وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فيه [الحديد : ٧] ..

***

[الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم]

فكانَتِ الدُّنيا في أيدِي الصَّحابةِ لا في قلوبهم ، ويكفيك في ذلك خروج عمر بن الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ عَنْ نصف مالِهِ ، وخروجُ أبي بكرٍ رضي الله عنه عن مالِهِ كلَّه ، وخروجُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عوف رضيَ اللهُ عنه عن سبع مئة بعير موقورة بالأحمال ، وتجهيز عثمان بن عفان رضي الله عنه جيشَ العُسرة ؛ إلى غير ذلكَ مِنْ أفعالهم ، وسَنِيّ أحوالهم ، رضوان الله عليهم أجمعينَ .. فتضمَّنَتِ الآيات البياتُ : التَّزكية لظواهرِهِمْ وسرائرهم ، وإثبات محامدهم و مفاخرِهِم .. فقَدْ تبيَّنَ مِنْ هذا أنَّ التَّدبير على قسمين : تدبير الدُّنيا للدُّنيا ؛ كما هو حال أهل القطيعة الغافلين . وتدبير الدنيا للآخرةِ ؛ كحالِ الصَّحابةِ الأكرمين ، والسَّلفِ الصَّالحين رضي الله عنهم أجمعين ، وجعلنا ممَّن اقتدى بهم ، آمين .

***

[فصلٌ في نداء الحق سبحانه لعبده]

نذكرُ فيهِ مناجاة الحق سبحانه وتعالى لعبدِهِ على ألسُنِ هواتف الحقائقِ في شأن التدبير والرِّزْقِ : أيُّها العبدُ : أَلْقِ سمعَكَ وهو شهيد ، يأتِكَ مني المزيد ، وأصغ بسمعك فأنا لستُ عنكَ ببعيد ، كنتُ بتدبيري لك قبل أن تكون لنفسك ، فكُنْ لنفسك بألا تكون لها ، وتوليتُ رعايتها قبل ظهورِكَ ، وأنا الآن على الرعاية لها .. أنا المنفرد بالخلقِ والتَّصوير ، وأنا المنفرد بالحكم والتدبير ، لم تُشاركني في خَلْقي وتصويري ، فلا تُشارِكْنِي فِي حُكْمِي وتَدْبيري .. أنا المدبّر لملكي وليس لي فيهِ ظهير ، وأنا المنفرد بحكمي ولا أحتاج إلى وزير ..

***

أيُّها العبدُ : مَنْ كانَ لكَ تدبيره قبلَ الإيجاد فلا تُشاركه في المراد ، ومَنْ عَوَّدَكَ حُسنَ النَّظرِ مِنهُ لكَ فلا تُقابلهُ بالعِناد .. وعودتُكَ حُسنَ النَّظر مني لك ، فعوّدني إسقاط التدبير منك معي ، أشكاً بعد وجودِ التجربة ، وحيرةً بعد وجود البيان ، وضلالاً بعد وضوح الهدى ؟!. وقد سلَّمْتَ لي قيامي بمَمْلكتي وأنتَ من مملكتي ، فلا تُنازعْ في ربوبيَّتي ، ولا تُضادِدْ بتدبيرِكَ معَ وجودِ ألوهيَّتي .. متى أحْوجْتُكَ إليكَ حتّى تحتالَ عليكَ ؟!. متى وكلْتُ شيئاً من مملكتي لغيري حتَّى أَكِلَ ذلكَ إليكَ ؟!. متى خابَ مَنْ كنتُ لَهُ مُدَبَّراً ، ومتى خُذِلَ مَنْ كنتُ لهُ ناصراً ؟!.

***

أيُّها العبدُ : لتشغلْكَ خِدمَتي عن طلب قِسمتي ، وليمنعكَ حُسنُ الظَّنِّ بي عنِ اتِّهَامِ رُبوبيَّتي ؛ لا ينبغي أَنْ يُتَهمَ مُحسِنٌ ، ولا أَنْ يُنازَعَ مُقتَدِرٌ ، ولا أَنْ يُضادَّ قهَّار ، ولا أنْ يُعترَضَ على حكيم ، ولا أنْ يُعالَ همٌّ معَ لطيف .. لقَدْ فَازَ بالنُّجْحِ مَنْ خرجَ عَنِ الإرادة معي ، ولقد دلَّ على يسير الأمر مَنِ احتال عليَّ ، ولقد استوجَبَ النَّصر منّي عبدٌ إذا تحرَّكَ ؛ تحرَّكَ بي ، ولقد استمسك بأقوى الأسبابِ مَنِ استمسك بسَبَبي ..

***

أيُّها العبد : نُريد منكَ أنْ تُريدَنَا ولا تُريدَ معَنا ، ونريد منك أن تختارَنَا ولا تختار معنا ، ونرضى لك أن ترضانا ولا ترضى سوانا .. وكما سلَّمتَ لي تدبيري في أرضِي وسمائي ، وانفرادي فيهما بحكمي و قضائي ؛ سلّم وجودَكَ لي فإنَّكَ لي ، ولا تُدبّر معي فإنك معي ، واتَّخذني وكيلاً ، وثق بي كفيلاً ، أُعطِكَ عطاء جزيلاً ، وأَهَبْكَ فخراً جليلاً .. ويحك ؛ إنَّا أجللْنَا قَدْرَكَ أن نشغلَكَ بأمر نفسِكَ ، فلا تصغّر قَدْرَكَ يا مَنْ رفعناه ، ولا تذلنَّ بحوالتِكَ على غيري يا مَنْ أعززنَاهُ .. ويحك ؛ أنتَ أجلُّ عِندَنَا مِنْ أَنْ نَشْغَلَكَ بغيرنا ، لحضرتي خلقتك وإليها خطبتُكَ ، وبجواذبِ عِنايتي إليها جذبتُكَ ؛ فإن اشتغلْتَ بنفسِكَ حجبتك ، وإنِ اتَّبعت هواهَا طردتُكَ ، وإن خرجت عنها قرّبتكَ ، وإن تودَّدْتَ إليَّ بإعراضِكَ عمَّا سواي أحببتُكَ ..

***

أيُّها العبدُ : ما آمَنَ بي مَنْ نازعَني ، ولا وحَّدَني مَنْ دبَّر معي ، ولا رضيَ بي مَنْ شكا ما أنزلتُ بهِ إلى غيري ، ولا اختارَني مَنِ اختار معي ، ولا امتثل أمري مَنْ لم يستسلم لقهري .. لو طلبتَ التدبيرَ لنفسِكَ جهلْتَ ، فكيف إذا دبَّرتَ لها ؟!. ولو اخترتَ معي ما أنصفتَ ؛ فكيف إذا اخترت عليَّ ؟!..

***

أيُّها العبدُ : يكفيكَ مِنَ الجهلِ أن تسكُنَ لما في يدك ، ولا تسكُنَ لما في يدي ، أنا أختارُ لكَ أنْ تختارني أفتختارُ عليَّ ؟!. يا مهموماً بنفسه ؛ لو ألقيتها إلينا لاسترحْتَ ، ويحكَ ؛ أعباء التدبير لا يحملها إلا الرُّبوبيةُ ، وليسَ يَقوى عليها ضعيفُ البشرية .. ويحكَ أنتَ محمول فلا تكُنْ حاملاً ، أردْنَا راحتكَ فلا تكُنْ مُتعباً لنفسك ..

***

أيُّها العبدُ : أمرتُكَ بخدمتِي ، وضمِنْتُ لكَ بِقِسْمَتِي ، فأهملتَ ما أمَرْتُ ، وشككتَ فيما ضمنْتُ ، ولم أكتف لك بالضمان حتَّى أقسمتُ ، ولم أكتفِ بالقَسَمِ حتَّى مَثَلْتُ ، فخاطبْتُ عباداً يفهمونَ

فقلتُ : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢ - ٢٣] ، وقد رزقْتُ مَنْ َغفَلَ عني وعصاني ؛ فكيف لا أرزقُ مَنْ أطاعَني ودعاني ؟!.. ويحك الغارسُ للشَّجرة هو ساقيها ، والممد للخليقة هو باريها ، مني كان الإيجاد وعليَّ دوام الإمداد ، منّي كانَ الخَلْقُ وعَليَّ دوامُ الرّزق ، أأُدخلُكَ داري وأمنعكَ إبراري ، أأُبرزُكَ لكوني وأمنعُكَ وُجودَ عَوني ؟!. أأُخرجُكَ إلى وجودي وأمنعُكَ جُودي ؟!.. لك هيئتُ مِنَّتي ، وفيكَ أظهرتُ رحمتي ، وما قنعتُ لك بالدُّنيا حتى ادخرتُ لكَ جَنَّتي ، وما اكتفيتُ لكَ بذلك حتى أتحفتكَ برؤيتي ؛ فإذا كانَتْ هذه أفعالي فيك ؛ فكيف تشكُّ في إفضالي ؟!.. اخترني ولا تختر عليَّ ، ووجّه قلبَكَ بالصدق إليَّ ؛ فإن فعلتَ أريتُكَ غرائب لُطفي ، وبدائع جُودي ، وأُمتع سرَّكَ بشهودي .. لقد ظهرتِ الطريق لأهل التحقيق ، وتبينت معالم الهدى لذوي التوفيق ، فبحَقٍّ سَلَّمَ إِليَّ الموقنون ، وببيانٍ توكَّل عليَّ المؤمنون ، علموا أنّي خيرٌ لهم مِنْ أَنفُسِهِمْ لأنفسهم ، وأنَّ تدبيري لهم أحرى مِنْ تدبيرهم لها ، فأذعنوا لربوبيتي مُستسلمين ، وطرحوا أنفسهم بين يديَّ مُفوِّضين ، فعوّضتهم عوضَ ذلكَ راحةً في نفوسهم ، ونوراً في عقولهم ، ومعرفةً في قلوبهم ، وتحقيقاً بقربي في أسرارهم .. هذا في هذه الدار ، ولهم عندي إذا قدموا عليَّ أن أُجِلَّ منصبَهم ، وأُعْلي محلَّهم ، ولهم عليَّ إذا أدخلتهم داري ما لا عين رأتْ ، ولا أُذُنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ..

***

أيُّها العبدُ : الوقتُ الَّذي أنتَ تستقبله لم أُطالبك فيه بالخدمة ، فلا تطالبني فيهِ بالقسمة ، فإذا كلَّفتُكَ تكفَّلْتُ لك ، وإذا استخدمتُكَ أطعمتكَ .. واعلم : بأنّي لا أنساك وإن نسيتني ، وأني ذكرتُكَ من قبل أن تذكرني ، وأنَّ رزقي عليك دائم وإن عصيتني ، فإذا كنتُ لك كذلك في إعراضِكَ عنِّي فكيف ترى أن أكون لك في إقبالك عليَّ ؟!.. ما قدرتني حقَّ قَدْري إن لم تستسلم لقهري ، ولا رَعِيتَ حَقَّ بِرِّي إِنْ لم تمتثل أمري ، فلا تُعرض عنِّي ؛ فإنَّك لا تجدُ من تستبدله مني بغيري ، ولا تغتر

بغيري فإنَّ أحداً لا يُغنيك عنِّي .. أنا الخالق لكَ بقُدرتي ، وأنا الباسط لكَ مِنَّتي ، فكما أنَّه لا خالق غيري فكذلكَ لا رازق غيري ، أَأَخلقُ وأُحيل على غيري وأنا المتفضّلُ ؟!. وأمنع العباد وجود خيري وأنا المنعِمُ ؟!. فثِقْ أيُّها العبدُ بي ؛ فأنا ربُّ العالمين ، واخرُجْ مِنْ مُرادِكَ إِليَّ أُبلغكَ عين المراد ، واذْكُرْ سوابق لطفي ، ولا تنسَ حقَّ الوِداد ..

***

[مناجاته رضي الله عنه]

إلهي : أنا الفقيرُ في غِنايَ فكيف لا أكونُ فقيراً في فقري ، وأنا الجهولُ في علمي فكيف لا أكونُ جهولاً في جهلي !!..

***

إلهي : منّي ما يليقُ بلُؤمِي ، ومنكَ ما يليق بكرمك ؛ إن ظهرَتِ المحاسن مني فبفضلِكَ ولكَ المِنَّة عليَّ ، وإنْ ظَهَرَتِ المساوي مني فبعدلك ولك الحجَّةُ عليَّ ..

***

إلهي : كيف تكِلُني وقد توكَّلْتَ لي ؟! وكيفَ أُضَامُ وأنتَ النَّاصِرُ لي ، أم كيفَ أخيبُ وأنتَ الحَفِيُّ بي ؟!.. ها أنا أتوسلُ إليكَ بفقرِي ، وكيف أتوسلُ إليكَ بما هو محالٌ أن يصل إليكَ ؟!. أم كيف أشكُو إليكَ حالي وهوَ لا يخفى عليك ؟!. أم كيف أترجمُ بمقالي وهو منكَ بَرَزَ وإليكَ ؟!. أم كيف تخيبُ آمالي وهي قد وَفَدَتْ عليك ، أم كيف لا تحسُنُ أحوالي وبك قامَتْ وإليكَ ؟!

***

إلهي : ما ألطفكَ بي مع جهلي ، وما أرحمكَ بي مع قبيح فعلي !! وما أقربَكَ مني وما أبعدني عنكَ ، وما أرأفك بي فما الذي يحجبني عنك ؟!

***

إلهي : كلما أخرسَني لُؤْمي أنطقَنِي كرمك ، وكلَّما آيستني أوصافي أطْمَعَتْني مِنَّتك .. إلهي : مَنْ كانَتْ محاسِنُهُ مساوي ؛ فكيف لا تكون مساوِيهِ مساوي ؟! ومَن كانَتْ حقائقه دعاوي ؛ فكيف لا تكون دعــاويـه دعاوي !!.

***

إلهي : كيف أعزم وأنتَ القاهِرُ ، وكيف لا أعزِمُ وأنتَ الآمرُ ؟!. ترَدُّدِي في الآثارِ يُوجِبُ بُعْدَ المزار ، فاجمعني عليك بخدمةٍ تُوصِلُني إليكَ ؟!.. كيف يُستدل عليك بما هوَ في وجودِهِ مُفتقِرٌ إِليك ؟! أيكون لغيرِكَ مِنَ الظهور ما ليسَ لكَ ؛ حَتَّى يكونَ هوَ المُظهر لك ؟!.. متَّى غِبْتَ حتّى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليكَ ، ومَتَّى بَعُدْتَ حَتَّى تكونَ الآثارُ هِيَ الَّتي تُوصِلُ إِليكَ ؟!

***

إلهي : عَمِيَتْ عين لا تراك عليها رقيباً ، وخَسِرَتْ صفقة عبدٍ لم تجعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نصيباً .. إلهي : هذا ذلّي ظاهرٌ بين يديك ، وهذا حالي لا يخفى عليك ، منكَ أطلب الوصول إليك ، وبكَ أستدِلُّ عليك ، فاهدِني بنورك إليك ، وأقِمْني بصدقِ العُبودية بين يديك ..

***

إلهي : علِّمْنِي مِنْ عِلْمِكَ المخزون ، وصُنِّي بِسِرِّ اسْمِكَ المصون ، وحَقِّقْنِي بحقائق أهلِ القُربِ ، واسلك بي مسالك أهل الجَذبِ ، وأغْنِنِي بتدبيرك عن تدبيري ، وباختياركَ عَنِ اختياري ، وأوقفني على مراكز اضطراري ، وأخرجني مِنْ ذُلِّ نفسي ، وطَهِّرْنِي مِنْ شَكِّي وشِرْكي قبلَ حُلولِ رَمْسِي .. بك أستنصِرُ فانصُرْني ، وعليك أتوكَّلُ فلا تكلْني ، وإياك أسألُ فلا تَحْرِمْنِي ، وفي فضلِكَ أرغَبُ فلا تُخيّبني ، ولجنابِكَ أنتسِبُ فلا تُبعدني ، وببابِكَ أَقِفُ فَلا تَطْرُدني ..

***

إلهي : إنَّ القضاء والقَدَرَ غلَبَنِي ، وإِنَّ الهَوَى بوثائِقِ الشَّهوةِ أسْرَنِي ، فكُنْ أَنتَ النَّاصِرَ لي حتَّى تنصُرَني وتنصر بي ، وأغنني بفضلِكَ حتّى أستغْنِيَ بفضلِكَ عَنْ طَلَبِي .. أنت الذي أشرقت

الأنوار في قلوب أوليائِكَ ، وأنتَ الَّذِي أَزَلْتَ الأغيارَ مِنْ أسرار أحبائِكَ ، أنتَ المؤنِسُ لَهُمْ حيثُ أوحشَتْهُمُ العوالم ، وأنتَ الّذي هديتَهُمْ حَتَّى استبانَتْ لهُمُ المعالم ..

***

ماذا وجد مَنْ فقدَكَ ، وما الذي فقَدَ مَنْ وَجَدَكَ ؟!. ولَقَدْ خَابَ مَنْ رضِيَ دونَكَ بدلاً ، ولَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغَى دونَكَ مُتحوَّلاً .. كيف يُرجَى سِوَاكَ وأنتَ ما قطعت الإحسان ، وكيفَ يُطلَبُ مِنْ غيرِكَ وأنت ما بدَّلْتَ عادة الامتنان ؟!. يا مَنْ أَذاقَ أَحبَاءَهُ حلاوة مُؤانستِهِ فقامُوا بين يديهِ مُتملِّقين ، ويا مَنْ ألبس أولياءَهُ ملابس هيبتِهِ فقامُوا بعزّتِهِ مُسْتعزّين ..

***

أنتَ الذَّاكرُ مِن قبل الذاكرين ، وأنتَ الباديءُ بالإحسانِ مِنْ قبل توجّهِ العابدين ، وأنتَ الجَوادُ بالإعطاء مِنْ قبل طلب الطالبين ، وأنتَ الوهَّابُ لنا ثمَّ أَنتَ لما وهَبْتَنَا مِنَ المستقرضين ؛ فاطلبني برحمتِكَ حتّى أصل إليك ، واجذبني بمِنَّتِكَ حَتَّى أقبل عليك ..

***

إلهي : إنَّ رجائي لا ينقطِعُ عنكَ وإن عصيتك ؛ كما أنَّ خوفي لا يُزايلني وإنْ أطعْتُك ، قَدْ دفعَتْنِي العَوَالمُ إليك ، وأوقفنِي عِلمي بكرمك عليك ، فكيفَ أَخيبُ وأنتَ أملي ، أم كيف أُهانُ وعليكَ مُتَّكلي ؟!..

***

كيف أستَعِزُّ وفي الذُّلَّةِ أركزتَنِي ، أم كيف لا أَستَعِزُّ وإليكَ قَدْ نَسَبْتَني ؟!. كيف لا أفتَقِرُ وأنتَ الَّذي في الفقرِ قَدْ أقمتَنِي ، أم كيف أفتقرُ وأنتَ الَّذي بجُودِكَ أغنيتَنِي ؟!.. أنت الذي لا إلهَ غيرُك ، تعرفتَ لكلِّ شيءٍ فما جهلك شيء ، وأنتَ تعرفتَ إليَّ في كلِّ شيءٍ ، فرأيتُكَ ظاهراً في كلِّ شيءٍ ، فأنتَ الظَّاهِرُ لكلِّ شيء ..

***

يا مَنِ استوى برحمانيته على عرشه ، فصار العرس غيباً في رحمانيته ؛ كما صارَتِ العوالم غيباً في عرشه ، محقْتَ الآثار بالآثار ، ومحوْتَ الأغيارَ بمحيطاتِ أفلاكِ الأنوار .. يا مَنِ احتجب في سُرادقاتِ عِزَّهِ عَنْ أن تُدركه الأبصار ، يا مَنْ تجلَّى بكمال بهائِهِ فتحقَّقَتْ عظمتُه الأسرار ، كيف تخفى وأنتَ الظَّاهرُ ، أم كيف تغيبُ وأنتَ الرَّقيبُ الحاضرُ ؟!

***

والله الموفق للصواب ، وبه نستعينُ ، ولا حول ولا قوَّةَ إِلا باللهِ العَلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله صلاة تحل بها العقد ، وتفرج بها الكرب ، ويزول بها الضرر ، وتهون بها الأمور الصعاب ، صلاة ترضيك وترضيه ، وترضى بها عنا يا رب العالمين ، آمين